

النور

غلاء الأسعار
ودعوة للاستغفار



الكلام
في الصلاة



فقر المشاعرين
والوالدين والأولاد



الرشوة

بين تغيير المسميات
وتدمير المجتمعات

فقه الابتلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾



صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاکر الجنیدی

المشرف العام

د. عبد العظیم بدوی

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هیکل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

التحرير

٨ شارع قوطة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: يرجى
مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم
الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ
عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل
مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛
لضمان وصول المجلة للمشارك في موعدها
والله الموفق

السلام عليكم

البلاء موكل بالمنطق

جاء في لسان العرب لابن منظور أن عبود: اسم رجل ضرب به
المثل فقيل: «نام نومة عبود»، وكان عبود رجلاً تماوت على
أهله (مثل دور الميت) وقال لزوجته: أندبيني لأعلم كيف
تندبيني (إذا أنا مت)، فندبتُه (ولطمت عليه كتمثيل)
فمات (حقيقة) على تلك الحال، وجاء البلاء له ولزوجته من
لسانه.

فالبلاء يأتي من اللسان والمنطق، فمن اصطنع الفقر افتقر،
ومن تمارض جاءه المرض، ومن رضي فله الرضا، ومن سخط
فله السخط، ويفهم ذلك أكثر إذا علمنا أن النبي عليه الصلاة
والسلام زار مريضاً ودعا له بالشفاء والعافية، والمريض يصبر
ثلاث مرات على أن الله سيميته في هذا المرض، ومع إصراره
قال له النبي عليه الصلاة والسلام: «هي ذا»، يعني ستكون
عاقبتك على حسب قولك، وبالفعل مات الرجل ولم يَبْتَ إلا
ليلة واحدة.

إذا كان الأمر كذلك فسنفهم جيداً معنى قول ربنا عز وجل في
الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي؛ إن ظن خيراً فله»،
وإن ظن شراً فله..

فمن رأى البلاء فقال: الحمد لله، أتاه الخير الكثير، ومن رأى
البلاء فقال: أيام سوداء، ودنيا ملطشة، فستكون كما قال: لا
شيء محمود، وسينام البلاء عنده نومة عبود!!

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي
على ٤٥ مجلداً مع مجلدات مجلة التوحيد
ص ٤٥ سنة كاملة

مفاجأة
كبرى

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ،
الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ،
المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ،
قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ،
أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيهًا بحوالة فورية
باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد
عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية
على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها
الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي
أو مايعادلها
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية
أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع
القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار
السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: د. عبد الله شاکر
- ٥ كلمة التحرير: رئيس التحرير
- ٧ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
- ٩ باب العقيدة: د. صالح الفوزان
- ١٢ باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة
- ١٤ القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد
- ١٧ باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق
- ٢٠ من أمثلة الشرك بالله: إعداد: د. عبد الحكيم حسام الدين
- ٢١ درر البحار: علي حشيش
- ٢٣ فقه الابتلاء: د. ماهر بن حمد المعقلي
- ٢٦ اللقطة واللقيط... آداب وأحكام: محمد عبد العزيز
- ٢٨ فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد
- ٣٠ الفكر الإسلامي: د. أحمد منصور سبالك
- ٣٢ باب الفقه: د. حمدي طه
- ٣٦ احذر هذه البدعة، واحذر هذا الكتاب: سيد عباس الجليمي
- ٣٨ دراسات شرعية: متولي البراجيلي
- ٤١ المسلم بين إرادة التغيير وإدارته: د. ياسر لمي
- ٤٤ واحة التوحيد: علاء خضر
- ٤٦ ظاهرة المخدرات.. فهل أنتم منتهون؟ عبده أحمد الأقرع
- ٤٨ دراسات قرآنية: مصطفى البصراي
- ٥٠ باب الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن
- ٥٣ تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش
- ٥٧ قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي
- ٦١ اتبعوا ولا تبتدعوا: معاوية محمد هيك
- ٦٤ باب العالم الإسلامي: رئيس التحرير
- ٦٦ الشحادة بين الاحتراف والاحتياج: صلاح عبد الخالق
- الخلل في الفهم وليس في كتب التراث:
- ٦٨ المستشار أحمد السيد علي إبراهيم
- ٧١ مقدمة في علم القراءات: د. أسامة صالح

متنذ البع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٥٥٥ جنيهاً شمع الكبريتية للأفراد والهيئات والجمعيات
داخل مصر ٣٥٥٥ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

الحمد لله العلي القفار، والصلاة والسلام على النبي
المصطفى المختار، وعلى آله وأصحابه الطيبين
الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:
ففي اللقاء الماضي كنت أتحدث عن تحمّل المشاق في
طلب العلم، وبيّنت طرقاً من أخبار أئمتنا - رحمهم
الله - وما قدموه لذلك، وأواصل الحديث حول هذا
فأقول:

إن المهمة العالية التي كانت لدى هؤلاء ينبغي لشباب
الأمة الإسلامية أن يحذو حذوها، وهي نماذج عالية
رفيعة يجب أن تقدر وتعرف، لتكون نبراساً اليوم
لطالبي الخير والهدى، فيقبلون على طلب العلم،
ومن استطاع أن يرحل فليزِم ذلك، وليكن لهم فيمن
مضى عظة وعبرة، ورحم الله ابن الجوزي القائل:
«كانت همم القدماء من العلماء عالية، تدل عليها
تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم، إلا أن أكثر
تصانيفهم دُثرت؛ لأن همم الطلاب ضعفت، فصاروا
يطلبون المختصرات، ولا ينشطون للمطولات، ثم
اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها، فدثرت
الكتب ولم تنسخ، فسبيل طالب الكمال في طلب
العلم الاطلاع على الكتب التي قد تختلف من
المصنفات، فليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم
القوم وعلوهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزمته
للجد، وما يخلو كتاب من فائدة، وأعوذ بالله من سِير
هؤلاء الذين نعاشرهم، لا نرى فيهم ذاهمة عالية،
فيقتدي به المبتدئ، ولا صاحب ورع فيستفيد منه
الزاهد، فالله الله، وعليكم بملاحظة سِير السلف،
ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من
مطالعة كتبهم رؤية لهم، كما قال:

فاتني أن أرى الديار بطريفي

فلعلي أرى الديار بسمعي

واني أخبر عن حالي؛ ما أشبع من مطالعة الكتب،
وإذا رأيت كتاباً لم أره، فكانني وقعت على كنز». (صيد الخاطر ص ٤٩٢).

قلت: إذا كان هذا حال طلبة العلم في زمن ابن الجوزي
رحمه الله، حيث أقبلوا على المختصرات وتركوا
المطولات، وقد عابهم على ذلك، وأخبر بضعف
همتهم، وقلة ورعهم، واستعاذ بالله من سِيرهم،
فماذا يقول لورأى حالنا اليوم؟



اقتساجية
الكتب

آداب طلبية

العلم

الحلقة الرابعة



بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

بالله، ودفعتهم هذه المعرفة إلى تعظيم أوامره والابتعاد عن نواهيه، وقد توعد الله في كتابه من يقول ولا يعمل، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (الصف: ٢-٣)، والمقت: هو أشد البغض وأبلغه. (انظر تفسير القاسمي ج١٦/٥٧٨٢).

كما ذم سبحانه قوماً أوتوا علماً ولم يعملوا به فقال: «مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَثِلٌ أَلْحَمَارٌ يَحْمِلُ أَثْقَارًا يَتَرَبَّصُّونَ بِمَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ» (الجمعة: ٥)، وفي هذا المثل توبيخ شديد لمن تعلم ولم يعمل، وعلى رأس هؤلاء اليهود الذين أوتوا التوراة ولم يعملوا بها. قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في هذه الآية: «هذا مثل ضربه الله لليهود وهو أنه شبَّههم بحمار، وشبَّه التوراة التي كلَّفوا العمل بها فيها بأسفار، أي كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبَّه تكليفهم بالتوراة بحمل ذلك الحمار لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي في الكتب المحمولة على ظهره، فكذلك لم ينتفعوا بما في التوراة من العلوم النافعة، لأنهم كلَّفوا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وإظهار صفاته للناس، فخانو وحرفوا وبدلوا، فلم ينفعهم ما في كتابهم من العلوم».

ثم عقب تلميذه الشيخ عطية سالم رحمه الله على كلام شيخه السابق فقال: «يُسَّ أن يَسَّ مثل القوم» أي: تشبيهم في هذا المثل بهذا الحيوان المعروف. (أضواء البيان ٨/١٩٥).

تعلّم العلم للعمل به:

وهذا الذي دفع سلفنا الصالح إلى تعلّم العلم للعمل به، وقد ألف الخطيب البغدادي رحمه الله كتاباً خاصاً بهذا الموضوع سماه: «اقتضاء العلم العمل»، وقد فطنوا رحمهم الله إلى أن ما ورد في فضل العلم لا يحصل إلا لمن عمل به. قال ابن جماعة رحمه الله: «واعلم أن جميع ما ذكر في فضل العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين». (تذكرة

ولذلك أنصح نفسي وإخواني من طلبية العلم بالصبر والاجتهاد في طلب العلم؛ لأن نيل المقامات العالية الرفيعة لا تكون إلا بمشقة عالية عزيزة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فمن دأب واصطبر فاز وارتفع.

وإلى جانب ذلك، فإن العلم عبادة وقربة، وشرف وسيادة لصاحبه، وصدق ابن القيم في قوله: «سلطان العلم أعظم من سلطان اليد، ولهذا ينقاد الناس للحجة ما لا ينقادون لليد، فإن الحجة تنقاد لها القلوب، وأما اليد فإنما ينقاد لها البدن، فالحجة تأسر القلب وتقوده، بل سلطان الجاه إن لم يكن معه علم يُسأس به، فهو بمنزلة سلطان السباع والأسود ونحوها، قدرة بلا علم ولا رحمة، بخلاف سلطان الرحمة، فإنه قدرة بعلم ورحمة وحكمة، ومن لم يكن له اقتدار في علمه، فهو إما لضعف حجته وسلطانه، وإما لقهر سلطان اليد والسيوف له، وإلا فالحجة ناصرة نفسها، ظاهرة على الباطل، قاهرة له». (مفتاح دار السعادة ص٦٤).

٧- العمل بالعلم:

العلم يثمر خشية الله تعالى وتقواه، ولذا يجب على طالب العلم أن يتحلّى بخشية الله تعالى ودوام مراقبته، حتى لا يكون العلم وبالا عليه وحجة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز بالله من علم لا ينفع، كما في حديث زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع». (مسلم: ٢٧٢٣).

والعبد إذا وقف بين يدي الله سيُسأل عن علمه ماذا عمل فيه، كما في حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم». (سنن الترمذي ٢٤١٧).

والعلماء من خلال ما تعلموه من أعرف الناس

السامع والمتكلم ص ١٣)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «قولوا خيراً تعرفون به، واعملوا به تكونوا من أهله». (مصنف ابن أبي شيبة ٢٩٢/١٣).

وقد أفاد وأجاد الراغب الأصبهاني رحمه الله عند ذكره للحقوق الواجبة على طالب العلم ومعلم الناس الخير، فقال: «حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويبصر ثم يبصر، ويهتدي ثم يهدي، ولا يكون كدفتريفيد ولا يستفيد، وكمنس يشحن ولا يقطع، بل يكون كالشمس التي تفيد القمر ولها أفضل مما تفيد، وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمى أكثر مما تفيد، ويجب ألا يجرح مقاله بفعاله، ولا يكذب لسانه حاله، فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِلُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُذِرَ لَّهِ عَذَابًا قَلِيلًا فَهُوَ لَدُنَّ الْأَخْسَارِ» (٢٠٥)، وَإِذَا قِيلَ لَهُ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِنُفْسٍ فِيهَا وَهَلَكَ الْحَرُثُ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لَا يَجِيءُ الْفَسَادَ» (البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥).

ونحو ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قصم ظهري رجلان: جاهل متنسك، وعالم متهتك، فالجاهل يغر الناس بنسكه، والعالم ينفرهم بتهتكه». (الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٨٤).

وينصح الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله طالب العلم بهذه الكلمات: «التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها، دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحلياً بالرجولة، والمساهلة والسمت الصالح، وملاك ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «أصل العلم خشية الله تعالى»، فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى». (حلية طالب ص ٩).

ومن خشية الله تعالى ألا يتزيد طالب العلم بالكلام، ويدعي لنفسه الكمال، وألا يسلط لسانه على العباد، وقد أحسن الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في وصفه لهذا الصنف من

الناس، فقال: «والمتطاول- كبت الله باطله- يسل لسانه على العباد فيتقيه المؤمنون، ويرفعون عن منازلته، فتكون العاقبة لهم، فيرتفع شأنهم عليه، ويكون قولهم الأعلى، أما هذا السليط المتسلط، فهو مبتلى- ويعلم الله- بأعظم بلية، وهي: موت القلب، ورؤيته القبيح حسناً، وذهاب رصيده من القبول له في الأرض، ومن تعجيل العقوبة له: تخلفه عن أقرانه في القيمة الأدبية رغم تحرّقه، وشدة تطلعه، أما في هذا الزمان، فقد ابتلي أهله بأناس جهال، ادعوا العلم، وكافحوا عن دعواهم بالصلف واللسانة، والشغب والشراسة، وإذا لم يكن مع اللسان عقل يحجزه، دل على عيب صاحبه، ولطرفة بن العبد:

وان لسان المرء ما لم يكن له

حصاة على عوراته لدليل

(التعالم وأثره على الفكر والكتاب ص ٦٩، ٧٠).

ثمرة العلم العمل به:

وفي الختام أقول لإخواني من طلبة العلم: إن ثمرة العلم العمل به، فالزم خشية الله تعالى وتقواه، وانتظم في سلك العلماء الربانيين الذين انتفعوا بالعلم، فصار سمتهم حسناً، وسلوكهم حسناً، مع سلامة الصدر وطهارة النفس، ومن كان من طلاب العلم كذلك دل على الله بأفعاله وحسن أخلاقه، ونفع وانتفع، ورحم الله ابن تيمية في قوله عن العلم وطلابه: «وأما أهل العلم والدين الذين هم أهله، فهو مقصود عندهم لمنفعة لهم، وحاجتهم إليه في الدنيا والآخرة، كما قال معاذ بن جبل في صفة العلم: إن طلبه لله عباده ومذاكراته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، به يُعرف الله ويُعبد، ويُمجّد الله ويُؤخّد». (منهاج السنة ٢٠٩/٨).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من طلبة العلم العاملين به، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه. والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله القوي المتين، الملك الحق المبين، لا يخفى على سمعه خفي الأتني، وبعد:

فإن ما يعيشه الناس في هذه الأيام من غلاء وارتفاع في الأسعار جعل كثيرًا منهم في حيرة من أمرهم، يحسبون روايتهم في حسرة فلا يجدونها تكفي نفقاتهم الضرورية إلا أيامًا قليلة من الشهر، وتظل نفقات باقي الشهر منحصرة في الديون والقروض. وإن هذا الغلاء في الأسعار محنة من المحن، وعقوبة من العقوبات، وبلاء يرسله الله تعالى على الناس، والتاريخ مليء بصور بشعة من مآلات غلاء الأسعار، وكيف اضطرت الناس لأكل الهوام والدواب.

وغلاء الأسعار من المصائب التي عمت بها البلوى في زماننا هذا، ولا ريب أنه من صور البلاء، والغلاء بلاء قديم، فعن أنس قال: «غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، سعر لنا. فقال: «إن الله هو المسعر القايض الباسط الرزاق، وإنني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال» (رواه أبو داود: ١٣١٤ وصححه الألباني).

الغلاء وحسن الظن بالله تعالى

ومع اشتداد موجة الغلاء التي أضرت بالناس إلا أنها مصيبة تهون عندما يفوض الإنسان أمره إلى الله فيها، ويلجأ إليه، ويحسن الظن به سبحانه، فهذا هو السبيل الأفضل الذي يخفف عن الناس آثار هذه المحنة، حتى يضمحل أمرها، وفي ذلك يقول رب العزة جل جلاله: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (الطلاق: ٣).

ولما كان الفقر والحاجة من آثار الغلاء، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بعظيم أثر التوكل على الله تعالى، وحسن الظن به في رفع هذا البلاء، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَزَلَّتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تَسُدْ فَاقَتَهُ، وَمَنْ تَزَلَّتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» (رواه أبو داود: ٢٣٢٦، وصححه الألباني).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ: تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (رواه ابن ماجه: ٤١٦٤ وصححه الألباني).

الغلاء لا يحول بينك وبين رزق الله

ومع اشتداد موجة الغلاء فإن الناس تشرب أفئدتهم وتحقق قلوبهم خوفًا على العيش والأرزاق، يا هؤلاء اطمئنوا لكرم الله تعالى، وثقوا بفضلله، واعتمدوا عليه وحده، فهو الرزاق ذو القوة المتين، أليس الله بكاف عبده؟ بلى والله، وإنا أحوج ما نكون إلى الثقة واليقين برب العالمين، فهو القائل سبحانه: «وَكَيْفَ أَنْ مِّنْ دَاخِلِ رِزْقِهَا اللَّهُ يُرزُقَهَا وَإِنَّكُمْ لَمِنَ السَّاعِثِينَ الْعَلَمِينَ» (العنكبوت: ٦٠)، وقال الله



غلاء الأسعار

ودعوة للاستغفار



بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

تعالى: «وَاللَّهُ رَاقِبٌ أُولُو الْأَرْوَاحِ وَالْأَنْفُسِ» (الذاريات: ٢٢، ٢٣)، وهو القائل جل وعلا: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ شَرِيفٍ» (هود: ٦)، فكل ما يدب على وجه الأرض قد تعهد الله برزقه.

أليس الله هو القائل - سبحانه -: «إِنْ نَشَاءُ اللَّهُ نُخِذْ أَكْثَرَهُمْ إِلَّا هُوَ وَإِنْ نَشَاءُ نُغَيِّرْ قُلُوبَهُمْ فَلَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا» (يونس: ١٠٧)، فلا داعي للقلق على الأزواق، فإن ربنا سبحانه وسع كل مخلوقاته فضلاً وبيراً وكرماً وهو الجواد الكريم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس قد نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته». (رواه ابن ماجه: ٢١٤٤، وصححه الألباني).

وليعلم كل ذي بصيرة أن رب العسر هو رب اليسر، وأن المحن باب إلى المنج، فالله لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم، نعوذ بك ربنا من الكفر والفقر.

الصبر على شظف العيش.. وضيق الحال

ومع اشتداد موجة الغلاء فليس للمؤمن غير الصبر درياً يسلكه، ورب العزة سبحانه هو القائل: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْغَاسِقِينَ» (البقرة: ٤٥)، وقال تعالى وهو أصدق القائلين: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (البقرة: ١٥٣)، وقال عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاقِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (آل عمران: ٢٠٠).

وأعلى ثمرة للصبر أن ينال العبد معية الله تعالى، ومن كان الله معه قلن يضره شيء مما نزل به من بلاء أو غلاء أو غيره، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأنفال: ٤٦)، وأعظم الصبر هو الصبر على شظف العيش وضيق الحال، قال الله تعالى: «وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرُبَّ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧).

وما نزل بلاء إلا بذنب، قال الله تعالى: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْلَمُ عَنْ كَثِيرٍ» (الشورى: ٣٠)، قال ابن كثير رحمه الله: «أي مهما أصابكم أيها الناس من مصائب إنما هو عن سيئات تقدمت لكم».

وما رُفِعَ إلا بتوبة، فقد قيل لبعض السلف: ارتفعت الأسعار، فقالوا: أنزلوها بالاستغفار، والله سبحانه يخبر عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: «فَلَمَّا أَتَيْنَاهَا إِذِ الْبَرْقُ يَكْرَهُونَ أَنْ يُدْعَوْا أَنْ يُخَاطَبُوا مِنْكُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا غَفَّارِينَ» (يونس: ١٠١) وتذكروا

بأمول وبين وجعل لكم حَتَبَ وَجَعَلَ لَكُمْ أَنْهَارَ» (نوح: ١١، ١٢).

الذنوب تسبب هلاك الحرث والنسل

ومع اشتداد موجة الغلاء فحري بالمؤمن أن يتذكر ويحيى جيداً أن كثرة الذنوب والمعاصي، وبُعد الناس عن دينهم من أشد الأسباب التي أظهرت هذا الوباء العظيم، ومعلوم أن الذنوب تسبب هلاك الحرث والنسل، وتسبب انتشار الفساد في البر والبحر، قال تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم: ٤١)، وقال تعالى: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْلَمُ عَنْ كَثِيرٍ» (الشورى: ٣٠).

والله تعالى يبتلى عباده ببعض ما كسبت أيديهم لكي ينتبهوا ويراجعوا أنفسهم، فعن عبد الله بن عمر، قال: «أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسَ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يَعْلَمُوا، بِهَا إِلَّا فِشَاهِيَهُمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوَّجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسَّيْنِ، وَشَدَّةِ الْمُتُونَةِ، وَجَوْرُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عُدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَاجْذَوْا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَمْنَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ»» (رواه ابن ماجه: ٤٠١٩ وحسنه الألباني).

فهل نظر الناس لهذه الكلمات العظيمة التي أوضح فيها النبي صلى الله عليه وسلم آثار الذنوب التي تعود على أمة الإسلام بغير ما ترجوه.

التضييق على المؤمن في أمر دنياه بشاره فرج!

ومع اشتداد موجة الغلاء فحري بالمؤمن أن يعي جيداً، أن التضييق عليه ليس نذير شؤم، بل بشاره فرج، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يوتي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يوتي الإيمان إلا لمن أحب». (أخرجه الحاكم في المستدرک ٩٤ وصححه ووافقه الذهبي).

فאלغلاء لا يسوغ أكل الحرام مهما احتاج العبد واقتصر، والغلاء لا يسوغ الغفلة عن عبادة الله، وإفناء العمر في طلب الرزق، كما أن الغلاء لا يسوغ التسخط من الحال والغفلة عن حمد الله، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على كل حال.

فالله لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا ضالاً إلا هديته، ولا مبتلى إلا عافيته، اللهم حكّم فينا كتابك وسنة نبيك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.



باب التفسير

سورة الأحقاف

الجزء السادسة

د. عبد العظيم بدوي

إعداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا
يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرِي
لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا
رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا.

(الأحقاف: ١٢-١٤).

وَقَالَ تَعَالَى: «لَمَّا قَبِلَهُ مِنْ
الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
﴿١﴾ زُلْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ «(آل عمران: ٣-١)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَأَنزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ «(المائدة: ٤٨) وَأَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى
كِتَابَ مُوسَى وَلَمْ يَذْكُرْ كِتَابَ عِيسَى لِأَنَّ التَّوْرَةَ
كَانَتْ هِيَ الْأَصْلُ، وَكَانَتْ هِيَ الشَّرِيعَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ
بِهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ، وَأَمَّا الْإِنْجِيلُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ كَثِيرٌ
تَشْرِيعٍ، وَأَمَّا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَا أُحِلُّ
لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ «(آل عمران: ٥٠).

ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْكِتَابَ بِكُونِهِ «لِسَانًا عَرَبِيًّا»
أَيَّ فَصِيحًا بَيِّنًا وَاضِحًا «لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَيُبَشِّرَ لِلْمُحْسِنِينَ» أَيَّ مُشْتَمِلٍ عَلَى النَّذَارَةِ
لِلْكَافِرِينَ وَالْبَشَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ. (تفسير القرآن
العظيم (١٥٦/٤)).
فَهَذِهِ هِيَ وَظِيفَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ وَيُشْرِي لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ لَفِي شَرَفٍ ﴿١﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ أَفْعَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا «(الإسراء: ٩-١٠).

وَقَالَ تَعَالَى: «لَمَّا قَبِلَهُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ
يَجْعَلْ لَهُ عِجَابًا ﴿١﴾ قَسِمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِّمَن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا
﴿٢﴾ تَتَجَنَّبُ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا «(الكهف: ١-٤)).
«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»
إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ تَنْطِقُ، وَلَا حُرُوفٍ
يُتَرَجَّمُهَا اللِّسَانُ، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ عَقِيدَةٌ وَعَمَلٌ،
عَقِيدَةٌ صَالِحَةٌ، سَلِيمَةٌ مِنْ شَوَابِ الشَّرْكِ،
تَسْتَقِرُّ أَوَّلًا فِي الْقَلْبِ، وَعَمَلٌ صَالِحٌ، سَلِيمٌ مِنْ
شَوَابِ الْبِدْعَةِ، يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ، مُعْبِرًا عَنْ
تَمَكُّنِ تِلْكَ الْعَقِيدَةِ مِنْ ذَلِكَ الْقَلْبِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
رَبُّنَا سُبْحَانَهُ: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّفَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَتَحْكِرُ طَيِّبَةً أَمَلَهَا ثَابِتٌ وَفَوْقَهَا فِي السَّكَمَةِ ﴿١﴾ تَوَقَّى
أَكْثَهَا كُلِّ جَنٍّ يَأْذِنُ رَيْبًا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ «(إبراهيم: ٢٤-٢٥)، فَهَذَا
مَثَلُ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، كَلِمَةُ التَّقْوَى،
كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حِينَ تَسْتَقِرُّ فِي الْقَلْبِ وَتَتَمَكَّنُ
مِنْهُ، وَتَضْرِبُ بِجُذُورِهَا فِي أَرْضِهِ، لَا بُدَّ أَنْ تَرْتَفِعَ

أَغْصَانُهَا بِشَمَارِهَا، وَأَنْ تَظْهَرَ هَذِهِ الثَّمَارُ عَلَى الْجَوَارِحِ أَعْمَالًا صَالِحَةً تَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كُلِّ صَبَاحٍ وَمُمْسَاءٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ» وَهَذِهِ هِيَ الْعَقِيدَةُ، هَذِهِ هِيَ أَصُولُ الدِّينِ وَأَرْكَانُ الْإِيمَانِ، ثُمَّ عَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا صَالِحَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ فَقَالَ: «وَأَتَى الْمَالُ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ»، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا» أَيْ فِي قَوْلِهِمْ آمَنَّا بِاللَّهِ، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧).

وَقَدْ عَبَّرَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا»، وَالْمُرَادُ بِالْقَوْلِ قَوْلُ الْقَلْبِ وَهُوَ الْاِعْتِقَادُ، وَقَوْلُ اللِّسَانِ وَهُوَ الْاِقْرَارُ، فَهُمْ قَالُوهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ صَدَقَتْ بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَالْأَفْعُولُ اللِّسَانُ دُونَ اِعْتِقَادِ الْقَلْبِ لَا يُسَمَّنُ وَلَا يُغْنِي مَنْ جُوعٍ، لِأَنَّهُ نِفَاقٌ، وَلِذَلِكَ كَذَبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَشَهِدُ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّقِفُونَ قَالُوا نَشَهِدُ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَكَاذِبُونَ» (المنافقون: ١)، لِأَنَّهُمْ قَالُوهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلَمْ تُصَدِّقْهَا قُلُوبُهُمْ وَلَمْ تُوقِنْ بِهَا. ثُمَّ عَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْقَوْلِ الْاسْتِقَامَةَ الَّتِي تَشْهَدُ بِصِدْقِ الْقَوْلِ، وَبِذَلِكَ وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ..» (صحيح مسلم: ٣٨).

وَالْاسْتِقَامَةُ هِيَ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَاسْتِقَامَةُ الْجَوَارِحِ عَلَى الطَّاعَةِ.

كَمَا فَسَّرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ قَوْلَهُ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» بِأَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى غَيْرِهِ.

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» قَالَ: اسْتَقَامُوا

عَلَى آدَاءِ فَرَائِضِهِ.

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: ثُمَّ أَخْلَصُوا لَهُ الدِّينَ وَالْعَمَلَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: اسْتَقَامُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَعَلَى خَشْيَتِهِ، وَاجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ، وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ، اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا عَلَى طَاعَتِهِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ جُنُودُهُ، فَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ، اسْتَقَامَتِ جُنُودُهُ وَرَعَايَاهُ.

فَالْاسْتِقَامَةُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ هِيَ عُنْوَانُ صِدْقِ الْعَبْدِ فِي قَوْلِهِ رَبِّيَ اللَّهُ، أَمَّا الْإِنْحِرَافُ وَالزَّيْغُ وَالرُّوْغَانُ فَإِنَّهُ يُنَالِي قَوْلَهُ رَبِّيَ اللَّهُ، وَلِذَلِكَ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الْمُنْبِرِ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» فَقَالَ: لَمْ يَرُوعُوا رُوعَانَ الثَّغْلِيبِ. (جامع العلوم والحكم (ص ١٧٨) بتصرف)

فَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْاسْتِقَامَةِ، أَنْ تَفْعَلَ الْوَاجِبَاتِ وَتَتْرَكَ الْمُحْرَمَاتِ، أَمَّا فِعْلُ الْمُحْرَمَاتِ وَتَرْكُ الْوَاجِبَاتِ فَإِنَّهُ يُنَالِي قَوْلَ رَبِّيَ اللَّهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَائِلُ:

تَغْصَى الْإِلَهِ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ

هَذَا وَرَبِّكَ فِي الْقِيَاسِ شَنِيعٌ

لَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي حُبِّهِ لَأُطِغَتْ

إِنَّ الْمُنْحَبَ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا هَدَانَا لِقَوْلِ رَبُّنَا اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا الْاسْتِقَامَةَ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ أَعْظَمُ كَرَامَةٍ يُكْرِمُ اللَّهُ بِهَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: لَا يَكُنْ هُمُكَ الْكِرَامَةُ، وَلْيَكُنْ هُمُكَ الْاسْتِقَامَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنْكَ الْاسْتِقَامَةَ، وَنَفْسَكَ تُرِيدُ الْكِرَامَةَ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءَ مَنْ اسْتَقَامَ كَمَا أَرَادَ فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِي مُسْتَقْبَلِهِمْ»، وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَفُوا وَرَاءَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا»، «لَا يَغْنَوْنَ عَنْهَا حَوْلًا» (الكهف: ١٠٨)، «وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ» (الحجر: ٤٨).

وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَفْقَهَنَا فِي دِينِنَا.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛
ما يزال الحديث متصلاً عن توحيد الله تعالى
والقضايا المتعلقة به، فنقول وبالله تعالى التوفيق؛

أولاً: معنى الشهادتين

معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار،
أنه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك والعمل
به، (فلا إله) نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة
كائنًا من كان (إلا الله) إثبات لاستحقاق الله وحده
للعبادة، ومعنى هذه الكلمة إجمالاً: لا معبود بحق
إلا الله. وخبر (لا) يجب تقديره: (بحق) ولا يجوز
تقديره بموجود؛ لأن هذا خلاف الواقع، فالمعبودات
غير الله موجودة بكثرة؛ فيلزم منه أن عبادة هذه
الأشياء عبادة لله، وهذا من أبطل الباطل وهو مذهب
أهل وحدة الوجود الذين هم أكفر أهل الأرض. وقد
فسرت هذه الكلمة بتفسيرات باطلة منها:
(أ) أن معناه: لا معبود إلا الله. وهذا باطل؛ لأن
معناه: أن كل معبود بحق أو باطل هو الله، كما سبق
بيانه قريباً.

(ب) أن معناها: لا خالق إلا الله. وهذا جزء من
معنى هذه الكلمة؛ ولكن ليس هو المقصود؛ لأنه لا
يثبت إلا توحيد الربوبية، وهو لا يكفي وهو توحيد
المشركين.

(ج) أن معناها: لا حاكمية إلا لله، وهذا أيضاً جزء
من معناها، وليس هو المقصود؛ لأنه لا يكفي، لأنه
لو أفرد الله بالحاكمية فقط ودعا غير الله أو صرف
له شيئاً من العبادة لم يكن موحداً، وكل هذه تفاسير
باطلة أو ناقصة؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في
بعض الكتب المتداولة.

والتفسير الصحيح لهذه الكلمة عند السلف
والمحققين:

أن يُقال: (لا معبود بحق إلا الله) كما سبق.

٢- ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: هو الاعتراف
باطناً وظاهراً أنه عبد الله ورسوله إلى الناس
كافة، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر،
وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر،
وإلا يعبد الله إلا بما شرع.

ثانياً: أركان الشهادتين

أ- لا إله إلا الله: لها ركنان هما: النفي والإثبات؛
فالركن الأول: النفي، لا إله؛ يُبطل الشرك بجميع
أنواعه، ويُوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.
والركن الثاني: الإثبات، إلا الله؛ يثبت أنه لا يستحق

باب العقيدة

معنى الشهادتين وأركانها وشروطها ومقتضاها ونواقضها

الحلقة السادسة

د. صالح الفوزان

إعداد



الرابع: الانقياد المناهية للترك. الخامس: الإخلاص المناهية للشرك. السادس: الصدق المناهية للكذب. السابع: المحبة المناهية لئدها وهو البغضاء. وأما تفصيلها فكما يلي:

الشرط الأول: العلم

أي العلم بمعناها المراد منها وما تنفيه وما تثبته، المناهية للجهل بذلك، قال تعالى: «إِلَّا مَنْ سَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (الزخرف: ٨٦).

الشرط الثاني: اليقين

بأن يكون قائلها مستيقناً بما تدل عليه؛ فإن كان شاكاً بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا» (الحجرات: ١٥).

الشرط الثالث: القبول

لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه؛ فمن قالها ولم يقبل ذلك ولم يلتزم به؛ كان من الذين قال الله فيهم: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» (٢٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا تَرَكُوا إِلَهَينَا لِشَاعِي تَجَنُّونَ» (الصافات: ٣٥، ٣٦).

الشرط الرابع: الانقياد

لما دلت عليه، قال تعالى: «وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» (لقمان: ٢٢). والعروة الوثقى: لا إله إلا الله؛ ومعنى يسلم وجهه: أي ينقاد لله بالإخلاص له.

الشرط الخامس: الصدق

وهو أن يقول هذه الكلمة مصداقاً بها قلبه، فإن قالها بلسانه ولم يصدق بها قلبه؛ كان منافقاً كاذباً، قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» (٨) يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلَئِنْ آمَنُوا إِلَى قَوْلِهِ: «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (البقرة: ٨-١٠).

الشرط السادس: الإخلاص

وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك؛ بأن لا يقصد بقولها طمعاً من مطامع الدنيا، ولا رياء ولا سمعة؛ لما في الحديث الصحيح من حديث عتبان قال: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله) (الحديث أخرجه الشيخان).

الشرط السابع: المحبة

لهذه الكلمة، ولما تدل عليه، ولأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّبِعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ»

العبادة إلا الله، ويُوجب العمل بذلك. وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: «مَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» (البقرة: ٢٥٦).

فقوله: (من يكفر بالطاغوت) هو معنى الركن الأول (لا إله) وقوله: (ويؤمن بالله) هو معنى الركن الثاني (إلا الله).

وكذلك قوله عن إبراهيم عليه السلام: «إِنِّي بَرَأَ مِنْكُمْ تَعْبُدُونَ» (٥) «إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي» (الزخرف: ٢٦، ٢٧).

فقوله: (إنني براء) هو معنى النفي في الركن الأول، وقوله: (إلا الذي فطرني) هو معنى الإثبات في الركن الثاني.

أركان شهادة أن محمداً رسول الله؛ لها ركنان هما قولنا: عبده ورسوله، وهما ينضيان الإفراف والتفريط في حقه صلى الله عليه وسلم فهو عبده ورسوله، وهو أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريقتين، ومعنى العبد هنا: المملوك العابد، أي: أنه بشر مخلوق مما خلق منه البشر؛ يجري عليه ما يجري عليهم، كما قال تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» (الكهف: ١١٠)، وقد وفى صلى الله عليه وسلم العبودية حقها، ومدحه الله بذلك، قال تعالى: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» (الزمر: ٣٦)، «الْحَقُّ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ» (الكهف: ١)، «سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» (الإسراء: ١).

ومعنى الرسول: المبعوث إلى الناس كافة بالدعوة إلى الله بشيراً ونذيراً.

وفي الشهادة له بهاتين الصفتين: نفي للإفراف والتفريط في حقه صلى الله عليه وسلم، فإن كثيراً ممن يدعي أنه من أمته أفرط في حقه، وغلا فيه؛ حتى رفعه فوق مرتبة العبودية إلى مرتبة العبادة له من دون الله؛ فاستغاث به من دون الله، وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله؛ من قضاء الحاجات وتفريج الكربات. والبعض الآخر جحد رسالته أو فرط في متابعتها، واعتمد على الآراء والأقوال المخالفة لما جاء به؛ وتعسف في تأويل أخباره وأحكامه.

ثالثاً: شروط الشهادتين

أ- شروط لا إله إلا الله

لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها؛ وهي على سبيل الإجمال: (الأول: العلم المناهية للجهل. الثاني: اليقين المناهية للشك. الثالث: القبول المناهية للرد.

(البقرة: ١٦٥).

فأهل (لا إله إلا الله) يحبون الله حباً خالصاً، وأهل الشرك يحبونه ويحبون معه غيره، وهذا يناهز مقتضى لا إله إلا الله.

ب- وشروط شهادة أن محمداً رسول الله هي:

١- الاعتراف برسائله، واعتقادها باطناً في القلب.

٢- النطق بذلك، والاعتراف به ظاهراً باللسان.

٣- المتابعة له؛ بأن يعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

٤- تصديقه فيما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلية.

٥- محبته أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين.

٦- تقديم قوله على قول كل أحد، والعمل بسنته.

رابعاً: مقتضى الشهادتين

أ- مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله

هو ترك عبادة ما سوى الله من جميع العبودات، المدلول عليه بالنفي وهو قولنا: (لا إله). وعبادة الله وحده لا شريك له، المدلول عليه بالإثبات، وهو قولنا: (إلا الله)، فكثير ممن يقولها يخالف مقتضاها؛ فيثبت الإلهية المنفية للمخلوقين والقبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار.

ب- ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله

طاعته وتصديقه، وترك ما عداها من البدع والمحدثات، وتقديم قوله على قول كل أحد.

خامساً: نواقض الشهادتين

هي نواقض الإسلام؛ لأن الشهادتين هنا هما اللتان يدخل المرء بالنطق بهما في الإسلام، والنطق بهما اعتراف بمدلوليهما، والتزام بالقيام بما تقتضيهما؛ من أداء شعائر الإسلام، فإذا أخل بهذا الالتزام فقد نقض التعهد الذي تعهد به حين نطق بالشهادتين. ونواقض الإسلام كثيرة قد عقد لها الفقهاء في كتب الفقه باباً خاصاً سموه (باب الردة)، وأهمها عشرة نواقض ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في قوله:

١- الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (النساء: ٤٨،

١١٦)، وقال تعالى: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» (المائدة: ٧٢).

ومنه الذبح لغير الله؛ كالذبح للأضرحة أو

الذبح للجن.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط؛ يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ فإنه يكفر إجماعاً.

٣- من لم يكفر المشركين، ومن يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر.

٤- من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم، ويفضلون حكم القوانين على حكم الإسلام..

٥- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو عمل به؛ كفر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه؛ كفر، والدليل على ذلك قوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا

رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ سِتْرَهُمْ وَلَا تَمْنُوا فَرْدَكُمْ يَوْمَ تَمُوتُ» (التوبة: ٦٥: ٦٦).

٧- السحر؛ ومنه الصرف والعطف (لعله يقصد عمل ما يصرف الرجل عن حب زوجته، أو عمل ما يحبها إليه) فمن فعله، أو رضي به؛ كفر، والدليل قوله تعالى: «وَمَا يَلْمِزَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا عَنَّا وَفَنَّهُ فَلَا نُكْفِّرُهُ» (البقرة: ١٠٢).

٨- مظاهره المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّمْ يَنْكُرْ فَإِنَّهُمْ إِنْ أَلَّفَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (المائدة: ٥١).

٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، عليه السلام؛ فهو كافر. قلت؛ وكما يعتقد غلاة الصوفية أنهم يصلون إلى درجة لا يحتاجون معها إلى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٠- الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذُنُوا مَعْرُوضُونَ» (الأحقاف: ٣)، «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْفِقُونَ» (السجدة: ٢٢).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (لا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
ما يزال الحديث متصلًا عن الضوابط الشرعية في
المعاملات الاقتصادية، وفي هذا العدد نتناول بواعث
الالتزام بالقيم والضوابط الشرعية في المعاملات،
فتقول وبالله تعالى التوفيق:

حرمة وبطلان الأعمال التي تفتح الباب إلى الفساد:

ومعنى ذلك تجنب أي معاملة تفتح الباب إلى مفسدة
خاصة أو عامة؛ لأن الأصل في المعاملات تحقيق المنافع،
ودليل ذلك ما قاله جابر رضي عنه -: إنه سمع رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح يقول: "إن الله
ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام"،
فقيل يا رسول الله: أرايت شحوم الميتة فإنه يطلى بها
السفن ويُدْهَنُ بها الجلود ويستصبح الناس بها؟ قال:
"لا، هو حرام"، ثم قال - صلى الله عليه وسلم -: "قاتل
الله اليهود، إن الله حرم عليهم الشحوم فأجملوها، ثم
باعوه فأكلوا ثمنه" (أخرجه البخاري).

وقال كذلك: "من حبس العنب أيام القطاف حتى
يبيعه لليهودي أو نصراني أو من يتخذ خمرًا فقد
تقحم النار على بصيرة" (أخرجه الطبراني في
الأوسط).

ويقوم هذا الضابط على القاعدة الفقهية: "درء
المفسد مقدم على جلب المنافع".

المحافظة على الأموال:

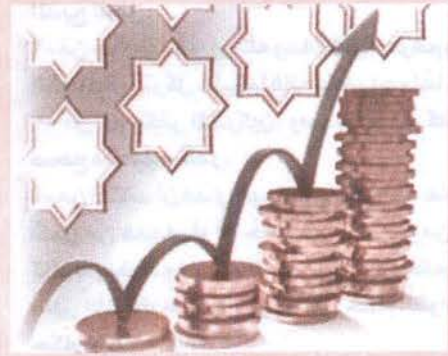
يعني ذلك أنه يجب على المسلم أن يأخذ بالأسباب
في المعاملات المالية التي تحمي المال من الهلاك وعدم
تعرضه للمخاطر المالية الجسيمة التي تقود إلى
الضياع، كما يتخذ التدابير اللازمة للمحافظة على
المال من السرقة والابتزاز والرشوة، ولقد أشار القرآن
إلى ذلك في قول الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا
بِحَكْمَةٍ عَنْ رِاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِكُمْ رَحِيمًا» (النساء: ٢٩)، وقوله - سبحانه وتعالى -:
«وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْمِصَارِ
لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»
(البقرة: ١٨٨)، ولقد أوصانا رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - بالمحافظة على الأموال، فقال: "...ومن
قتل دون ماله فهو شهيد" (متفق عليه)، وقوله - صلى
الله عليه وسلم -: "إن الله كره إليكم ثلاث: قيل وقال،
واضاعة المال، وكثرة السؤال" (أخرجه البخاري
ومسلم).

ودليل هذا الضابط من القواعد الفقهية ما يلي:

- أكل المال بالباطل حرام.

- لا ضرر ولا ضرار.

تنمية الأموال بالاستثمار:



باب الاقتصاد الإسلامي الضوابط الشرعية في المعاملات الاقتصادية

الحلقة الثالثة



د. حسين حسين شحاتة

إعداد /

ذاته يزيد من الاطمئنان من أن الله هو الرازق، وأن بيده كل شيء.

ثالثاً: الوقاية من ارتكاب الذنوب والمعاصي والردائل الاقتصادية التي تقود إلى فساد العقيدة والأخلاق أحياناً، حيث إن للفساد الاقتصادي أثراً على الفساد الأخلاقي، كما يقود الفساد الأخلاقي إلى فساد اقتصادي.

رابعاً: تجنب الشك والريبة والخصام والشجار بين المسلمين، والمحافظة على رابطة الأخوة الصادقة والحب في الله، فالالتزام بالضوابط الشرعية من موجبات المحافظة على العلاقات الطيبة بين الناس. خامساً: سلامة واستقرار المعاملات بين الناس الخالية من الغش والفرر والجهالة والتدليس والربا.. وغير ذلك من صور أكل أموال الناس بالباطل، وهذا من موجبات وجود السوق الحرة الطاهرة.

سادساً: تقديم الإسلام للناس على أنه دين شامل ومنهج حياة، وليس دين عبادات وشعائر وعواطف فقط، بل يمزج بين الروحانيات والماديات، وبين العبادات والمعاملات، والإسلام صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

سابعاً: تفيد هذه الضوابط رجال الدعوة الإسلامية من وعاظ وعلماء ونحوهم في الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم، وكيفية ربط المفاهيم والقواعد والضوابط بالتطبيق العملي، كما تساعد في الإجابة على الاستفسارات المالية المعاصرة، وبيان الجائز والمنهي عنه شرعاً.

ثامناً: تقديم نماذج عملية من المعاملات المالية التي تقوم على مرجعية فقهية مرنة وقابلة للتطبيق وتستوعب مستجدات العصر، وفي هذا بيان لعظمة الإسلام وعراقة الحضارة الإسلامية، والتأكيد على أن سبب تخلف الدول الإسلامية يرجع إلى عدم الالتزام بالإسلام عقيدة وشرية.

تاسعاً: تساعد هذه الضوابط الأفراد والشركات والمؤسسات ورجال الأعمال، ومن في حكمهم، على أن يضعوا اللوائح المالية في ضوء الضوابط الشرعية وليس وفقاً لما يخالف شريعة الإسلام.

عاشراً: تساعد هذه الضوابط كذلك في إعادة النظر في القوانين الاقتصادية والمالية والاستثمارية، وما في حكمها في البلاد العربية والإسلامية لتتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وأن يكون نظامها الاقتصادي والمالي والأساليب والسبل التنفيذية مطابقة للشريعة كذلك.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ويعني ذلك عدم اكتناز المال وحبسه عن وظيفته التي خلقها الله له؛ لأن ذلك يؤدي إلى انخفاض قيمته بسبب أداء الزكاة والتضخم، وفي هذا المقام ينهانا الله عز وجل عن الاكتناز، ويحثنا على الاستثمار فيقول: **«وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»** (التوبة: ٣٤)، ويحض الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الاستثمار، فيقول: **«استثمروا أموالكم حتى لا تاكلها الصدقة»** (أخرجه أحمد).

ویدخل هذا الضابط في نطاق تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، ومنها حفظ المال.

الاستغفار لتحقيق البركات في الأموال:

وتعني هذه القاعدة ذلك أنه على المسلم التقي الورع أن يكثر من الاستغفار لتطهير الأموال والمعاملات من الحرام، ولتحقيق البركة، ودليل هذا الضابط من القرآن الكريم قول الله -تبارك وتعالى-: **«فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ أَنْهَارًا»** (نوح: ١٠-١٢)، والدليل من السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»** (أخرجه أبو داود).

ویدخل هذا الضابط في نطاق القاعدة الفقهية العامة، **«إنما الأعمال بالنيات»**، والقاعدة **«حفظ المال من مقاصد الشريعة الإسلامية»**.

تقيب على الضوابط الشرعية للمعاملات المالية

تعتبر الضوابط الشرعية السابقة الدستور الإسلامي للمعاملات المالية، والذي يُنظر إليه على أنه الأساس لوضع اللوائح والنظم والإجراءات التنفيذية في الواقع العملي، وكذلك المرجع الأساس لاختيار السبل والوسائل والأدوات المعاصرة التي تستخدم في تنفيذ المعاملات المالية. كما تصلح أن تكون مرجعاً لأي برنامج اقتصادي إسلامي وبديل للبرامج الوضعية غير الإسلامية.

ثمرات الالتزام بالضوابط الشرعية في المعاملات المالية المعاصرة:

من البركات المرجوة من الالتزام بالضوابط الشرعية في المعاملات المالية ما يلي:

أولاً: الارتياح القلبي والاطمئنان النفسي من أن المسلم الذي يلتزم بشرع الله -سبحانه وتعالى- ويتجنب محارمه، ولا يستشعر ذلك إلا أصحاب القلوب الخائفة من الله، والراجية رضاه، والطامعة في جنته.

ثانياً: تحقيق الخير والبركة وزيادة في الأموال وفي الأرباح، وتجنب المحق والحياة الضنك، وهذا في حد

الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس .. شبهات وردود



الجلقة الثانية

القصة في كتاب الله

عبد الرزاق السيد عبيد

اعداد

المعصيتين يكفي ويشفي لو لم تُلَقَّ شبهات من هنا وهناك؛ يلقيها الشيطان في قلوب أتباعه، ومن ثم تؤثر في سلوك عباده الصالحين في طريقهم إلى الله حين تقع في طريقهم، ولأنَّ الشبهات والشهوات صارت اليوم تقذف في طريق الناس من كل حذب وصوب وجب التنبيه، والله المستعان.

أولاً: شبهة قديمة تجدد (فحج آدم موسى)؛

هذه جملة من حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما، وإليك نص الحديث من رواية الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أيونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده أتولموني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى». وفي بعض روايات الحديث تكرار لجملة (فحج آدم موسى)، مرتين أو ثلاثاً، وهناك بعض الاختلاف في بعض روايات الحديث؛ لكنها لا تؤثر في المعنى العام للحديث. وهذا الحديث رفضه القدرية لأنه يثبت القدر السابق، واحتج به الجبرية ظناً منهم أنه يؤكد مذهبهم في الجبر، وتوسط أهل السنة في فهم الحديث؛ لأنهم الأمة الوسط، وهذا المعنى الصحيح للحديث فأدم حج موسى في تقدير هبوطه من الجنة، لأن الله خلقه ابتداءً للأرض وقد أكدنا هذا في المقال السابق، وهذا واضح

الحمد لله مالك الملك مدبر الأمر بيده الملك والملكوت يغفر لمن يشاء برحمته، ويُعَذِّب من يشاء بعدله، سبحانه لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وبعد:

في اللقاء السابق تحدثنا عن الفرق بين معصية آدم ومعصية الشيطان، ولأهمية هذا الموضوع نلخصه فيما يلي:

١- عصى آدم عليه السلام ربه من باب الضعف البشري والنسيان الفطري، فلما ذكره ربه تذكر وتاب فتاب الله عليه وهداه؛ لأنه سبحانه يغفر الذنب ويقبل التوب وهو الغفور الرحيم، فكانت الرحمة لآدم وذريته.

٢- عصى إبليس (الشيطان) ربه من باب الكبر والغرور، فلم يتب ولم يستغفر؛ لأنه جعل نفسه نداً لله؛ فطرده الله من رحمته وجنته، وجعل جهنم موعده هو ومن اتبعه من الإنس والجن؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فكانت اللعنة لإبليس وأتباعه.

إذن هذا هو الفرق الجوهرى بين معصية جاءت من باب الضعف والنسيان فأعقبها ندم وتوبة وعدم إصرار على الذنب، وهذه حال آدم وكل من يقتدي به من ذريته؛ لأنهم ليسوا ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، بل خلقهم الله يذنبون ويتوبون فيغفر الله لهم، وبين معصية نشأت عن كبر ومعارضة لأمر الله وإصرار على ذلك فلا ندم ولا توبة، وهذه حال إبليس ومن تبعه من الإنس والجن، نعوذ بالله من ذلك.

وأقول هذا القدر من الفهم الصحيح للفرق بين

في قوله تعالى للملائكة: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** (البقر: ٣٠).

فلا احتجاج بالقدر إنما يكون على المصائب وليس على المعاييب، (أي الذنوب)، فلا احتجاج بالقدر على الذنوب من فعل المشركين الذين اتخذوا الشياطين أولياء كما أخبرنا ربنا عنهم في كتاب الكريم، فقال سبحانه: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** (٢٧) **﴿وَإِذَا قُلُوا فَجَنَّةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا مَبَادِنًا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّمَا اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** (الأعراف: ٢٧-٢٨)، وقال تعالى: **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾** (الأنعام: ١٤٨).

وهكذا يلقي الشيطان ألسنة أوليائه أن يقولوا على الله ما لا يعلمون وأن يحتجوا بالقدر على الذنوب والمعاصي، بل وعلى الشرك الذي أمرهم الشيطان به ثم سؤل لهم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، وهذا العمل الذي هو من فعل الشيطان وأوليائه من الجن والإنس يتنزه عنه أحاد المؤمنين فضلاً عن أبي البشر الذي اصطفاه الله وبعثه رسولا ونبيا في ذريته، وكذلك يتنزه عنه كلهم الله ورسوله موسى عليه السلام فلا آدم اعتذر بالقدر عن معصيته بدليل أنه تاب منها وقبل الله توبته وقضى الأمر، وكذلك موسى عليه السلام يعلم أن آدم تاب فتاب الله عليه، إنما كان الكلام عن الخروج من الجنة، وهذا الذي حاج فيه آدم موسى.

ثانياً: ما نوع الشجرة التي أكل آدم منها؟

وهل حواء هي السبب في إغواء آدم؟

الإجابة عن الشبهتين اللتين صُغناهما على هيئة سؤالين مُجملتين ومفصلة: أما المجملتان فتقول وبالله التوفيق: لقد سكت القرآن عن ذكر نوع الشجرة؛ لأنه ليس فيه فائدة لنا، ولو كان فيه مصلحة لذكرها القرآن الكريم، وكذا سكت عنها الرسول والصحابة الكرام، ألا يسعنا ما وسعهم؟ واجتهد بعض أهل العلم وذكروا قولاً وجيهاً أن الله جعلها رمزاً للطاعة

والمعصية وهي شجرة مثل كل الأشجار. أما كون حواء هي التي أغوت آدم للأكل أولاً؛ فليس في القرآن ما يشير إلى ذلك مطلقاً، بل ربما أدان القرآن آدم أكثر.

أما الإجابة المفصلة فتقول وبالله التوفيق:

هذه شبهات انتقلت إلينا من أهل الكتاب وما ذكر في بعض كتب التفسير عن اسم الشجرة بأنها الكرم أو الجنة أو غير ذلك فهو من الأسرانيات أما موضوع المرأة واتهامها فليس في القرآن ولا في كلام أهل العلم ما يشير إلى ذلك مطلقاً بل هو قول منسوب للتوراة كتبوه بأيديهم، وقالوا هو من عند الله.

واسمحوا لي أن أنقل لكم ما جاء في التوراة في سفر التكوين حول هذا الموضوع؛ جاء في سفر التكوين في الفصل الثالث أو المزمور الثالث بعنوان «السقوط»، وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي خلقها الرب الإله، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله: لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟ فقالت المرأة: «من ثمر شجر الجنة تأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا». فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، ولكن الله يعرف أنكما يوم تأكلان من ثمر تلك الشجرة تنفتح أعينكما وتصيران مثل الله تعرفان الخير والشر.

ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكول وشبهة للعين، وأنها باعثة للضمير فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت زوجها أيضاً، وكان معها فأكل فانفتحت أعينهما فعرفا أنهما عريانان فحاطا من ورق وصنعا لهما مآزر». (تكوين ٣ من ٧/١).

أخي الكريم تعرضت التوراة للحديث عن قصة آدم حديثاً طويلاً في فصلين من سفر التكوين.

ولاحظ أنه هنا يتكلم عن جنة عدن التي أسكنها الله آدم ويتحدث عن حية في الجنة جنة عدن فيها حيات وعقارب وبعابين، إن هذا لأمر عجاب!!

عن خلقه يحتاج أن يكذب ويخادع!! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً؟

وهل كان آدم وحواء عريانين وهما لا يدریان حتى إذا أكلتا من الشجرة عرفا ذلك؟ ما هذا التهاوت؟ وأين الخير والشر الذي عرفاه وصاراً مثل الله ما هذا التخبط، ولماذا يقع الشر في الأرض منذ آدم حتى اليوم، وإلى أن يشاء الله؟ لا شك أن هذا الذي جاء في سفر التكوين يتعارض تماماً مع العقل السليم ومع النقل الصحيح، فضلاً عن القرآن الكريم كلام رب العالمين المحفوظ بحفظ الله له إلى يوم الدين. وألقى سفر التكوين اللعنة على الحيّة وعلى المرأة أي حواء واتهمها بإغواء آدم بل وألقى كذلك اللعنة على الأرض بسبب معصية آدم وأنا أتساءل ما ذنب الأرض حتى يلعنها الله؟ بل خلق الله الأرض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها قبل أن يخلق آدم.

أما كون حواء هي التي أغوت آدم فهذا محض افتراء فلم يُشر القرآن من قريب أو بعيد إلى ذلك بل الخطاب جاء بضمير المثنى في كل المواقف بل جاء في بعضها بالقاء المسؤولية على آدم أولاً مثل قوله تعالى: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» (طه: ١٢١-١٢٢).

ثالثاً، وكثيراً ما يطرح البعض تساؤل كيف وسوس

الشيطان لآدم؟

وكيف دخل الجنة بعد أن طرده الله منها؟

أقول: تكلف البعض وتأثر بالأسرائيليات، وقال: دخل الشيطان في جوف حيّة، وقال آخرون: تكلم من على الباب، وقال غيرهم: دخل عابر، والله أعلم بالصواب.

ألا يكفي أن نقف عند ما وقف عنده القرآن ولا نزيد، ألم نعلم أن الله أعطى للشيطان قدرة على الوسوسة بطرق شتى؛ منها ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق».

أعاذنا الله وإياكم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه، والحمد لله رب العالمين.

وهذا الذي جعل شراح التوراة يفسرون الحية بالشيطان، ولماذا لم تتحدث التوراة عن الشيطان صراحة لم يأت في التوراة إشارة واحدة إلى معصية إبليس التي استحق من الله اللعنة عليها بل انصبت اللعنة صباءً على الحيّة وعلى المرأة وعلى الأرض بسبب معصية آدم، وكانت عقوبة آدم أن ينزل إلى هذه الأرض الملعونة.

وهذا يتعارض تماماً مع ما جاء في القرآن الكريم من مغفرة الله ورحمته لآدم، أمّا نزوله للأرض فهو أمر خلق الله له آدم من اللحظة الأولى فكانت حكمة الله العلي الحكيم أن يخلق آدم قبضته من طين الأرض ونفخه من الملائكة الأعلى (الروح) ليصلح لتطبيق منهج الله في الأرض فتتغذى روحه من الملائكة الأعلى ويتغذى بدنه مما تُنبِت الأرض ليقيم على الأرض حضارة باسم ربه الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى.

وإذا عُذنا إلى النص التوراتي الذي أردناه نجد أنه يجعل من الحيّة ندأ لله؛ لأنها قالت للمرأة (يقصد حواء) كلاماً يخالف كلام الله، فالله سبحانه ناهما عن الأكل من الشجرة التي سمّتها التوراة عن لسان الحية شجرة معرفة الخير والشر..

ولا أدري من أين جاء الذين كتبوا التوراة بهذا الكلام إلا أن يكون الشيطان قد ألقى إليهم فكتبوه بأيديهم وقالوا هذا من عند الله، وعلى هذا الوصف الذي جاء ذكره على لسان الحيّة المزعومة يكون من كتب التوراة قد وصفوا الله سبحانه وتعالى بما لا يليق وقالوا على الله عز وجل قولاً عظيماً، وأنا أمسك القلم عن الخوض في تفاصيله وعليك مراجعة سفر التكوين إن شئت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما وجّه كتاب التوراة الاتهام الصريح للمرأة بأنها هي التي بدأت بالأكل ووصفت الثمرة بأنها طيبة المأكول وشبيهة للعين وباعثة للفهم، وفي هذا تدن خطير، وكان الحيّة المزعومة أصدق من الله رب العالمين، وهل يتصور عاقل في الأرض أو في السماء هذا الهراء وهل رب العزة والجلال الغني

الرشوة بين تخيير السميات وتدمير المجتمعات



د. مرزوق محمد مرزوق / إعداد

الشرح، وينسب إلى أمه وهي من قبيلة لتيب، وعرف الحديث عند المحدثين منسوباً إليه بحديث ابن اللتبية.

ولما قدم أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحاسبه فأعطاهم ما جمعه من الصدقات، لكنه أخبرهم أنه قد أهدي إليه معلاً ذلك أن الذي احتفظ به ليس من الصدقات، وإنما هو هدية أهديت إليه من هؤلاء القوم الذين ذهب للجمع منهم، فلما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، أنكره، وقام في الناس يعلمهم أن هذه الهدايا إنما جاءت إليه بسبب وظيفته وأنها سُحِت ثم حذر عليه الصلاة والسلام من مثل هذا، مشدداً على أن الذي يأخذه يأتي بما أخذ يحمله يوم القيامة على رقبته ليعاقب ويفضح به، وزيادة في الفضيحة ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثلة لمن أخذ بغيراً يأتي يحمل البعير، وهو يصدر رغاء (صوت البعير)، ومن أخذ بقرة تصدر خواراً ومن أخذ شاة تيعر وهو صوتها، ثم رفع صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء رفعاً شديداً مناجياً ربه حتى رئي أسفل إبطيه وهو يقول «اللهم هل بلغت؟» (ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٤/٢٥٢، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ١٠/٢٤٤).

مما يستفاد من الحديث

أولاً: حرمة هدايا العمال وأنها نوع من أنواع الرشوة؛ فإن الحديث وإن كان رواه البخاري في كتاب الأحكام باب: هدايا العمال وفي كتاب الهبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن آله، وبعد:

عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني أسد يُقال له: ابن اللتبية - قال عمرو وابن أبي عمر: على الصدقة - فلماً قدم، قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال العامل تبعثه فيأتي، فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلاً جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أبيه له أم لا؟ والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه؛ حتى رأينا عُفرتي إبطيه: «ألا هل بلغت؟» ثلاثاً.

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري (٣/٤٢٨/١٥٠٠)، ولفظه: «رجلاً من الأسد»، وفيه أيضاً: «فلماً جاء، حاسبه»، وفي (١٣/١٧٥/٧١٧٤) باللفظ المذكور أعلاه، ومسلم (٦/١١)، وفيه: «رجلاً من الأسد»، وأبو داود (٢٩٤٦)، كلهم من طرق عن ابن عيينة، وشعيب، ومغمر عن الزهري عن عروة عن أبي حميد الساعدي - رضي الله عنه.

المعنى العام للحديث

في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وظف رجلاً (صاحبياً) من بني أسد وهم بطن من بطون الأزد يجمع صدقات بني سليم اسمه عبد الله كما قال بعض

ثانياً: التفريق بين الرشوة والهدية:

لا شك أن الفرق بينهما شاسع والبون واسع إذ الأولى كبيرة من الكبائر؛ لأنها هبة يراد بها إحقاق باطل أو إبطال حق والثانية سنة يؤجر صاحبها عليها؛ إذ هي هبة لا مقابل لها، ولا دافع إلا ابتغاء الأجر، إذ قد حضّر الشارع لها أمراً كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «تهادوا تحابوا»، وقد أخرج به البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٤)، وأصح منه في المبالغة في قبول الهدية مهما صغرت قيمتها ما رواه البخاري في كتاب النكاح باب من أجاب إلى كراع وفيه (.. ولو أهدى إلى كراع لقبلت) والكراع هو ما دون الكعب من الدابة كما شرحه الحافظ ابن حجر.

بل ومن مبالغة الشارع في أهمية الهدية أن وردت فيها من الأدلة ما يشعر بالوجوب وهو ما دعا إلى اختلاف الفقهاء في هذا الحكم، ومن ذلك ما صححه الألباني مما رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٨١/٣)، رقم (٣٥٥١) عن خالد بن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جاءه من أخيه معروف من غير إشراف ولا مسألة، فليقبله ولا يرده؛ فإنما هو رزق ساقه الله إليه».

وعليه فيُسن للمسلم قبول الهدية ويحرم عليه قبول الرشوة، وإن كانت بمسميات أخرى كما في حديث الباب. هذا، ولا يخفى من الأدلة الأخرى الواضحة الدلالة على حرمة هدايا العمال، وما قد تؤول إليه، فمن فساد ما صححه الألباني في الإرواء من حديث أبي حميد الساعدي «هدايا العمال غلول» أي خيانة.

ثالثاً: إهدار المال العام حرام:

والحديث يدل كذلك على حرمة المال العام إذ إن الأخذ لهذه الهدية المحرمة من موظفي الدولة قد قبلها وهو مكلف بعمل عام يأخذ

وفضلها والتحريض عليها، باب من لم يقبل الهدية لعله، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال، إلا أن العلماء يستدلون به على تحريم الرشأ، وذلك على أن هذه الهدايا للعمال تعتبر نوعاً من أنواع الرشأ؛ لأنها قد تبطل حقاً أو تحقق باطلاً.

وعليه فإن تغير المسمى لم يمنع الحرمة إذ «الأعمال بالنيات» كما تواتر لدى القاضي والداني، فلا يحلل الحرام ما قد يُلبس به بعض المغررين في هذه الأزمنة الغابرة المتأخرة من تسمية هذه المعاملة هدية أو (محبة) أو (إكرام)، أو نحو ذلك مما يسمون، ودليل ذلك أن هذا المسئول الوالي لو ترك ولايته لما أهداه ولا أحبه ولا أكرمه الراشي بشيء، وهي آية الفصل بين الهدية والرشوة. ويزيد الحكم وضوحاً ما قد تقرر لدى علماء الأصول من «أن العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني».

ولا شك أن هذه المعاملة هي عقد يجزئها وإن لم يتلفظ طرفاه بذلك، وهذا النفع إن كان إبطالاً لحق أو إحقاقاً لباطل كان رشوة محرمة، وإن كان حقاً لا باطل فيه فلا يحتاج إلى إهداء فما فائدته إذن؟

هذا وتحريم الرشوة ثابت بالكتاب والسنة من غير ما سبق، ولا أوضح في هذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سنن الترمذي وغيره: «لعن الله الراشي والمرتشى»، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وأم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهم أجمعين.

وزاد أحمد وغيره من حديث ثوبان لفظة «والرائش» وهو «الواسطة»، وهي زيادة منكرة؛ إذ إنها ثبتت من طريق ليث بن سليم، وهو ضعيف كما ذكر الألباني في الضعيفة (٣٨١/٣)، والواسطة لا شك أنها حرام بدونها إذ إنه تعاون على الإثم والعدوان المحرم إجمالاً.

مقابله أجراً، فقبوله للهدية لا محل له فإنه أخذها أجراً، ثانياً فلا يحل وإن أخذها ليسهل بها عملاً فهي الرشوة سالفة الذكر، وكلاهما خيانة للأمانة، وحرمة المال العام لا ينافي فيها مسلم عاقل؛ إذ تضافرت عليها أدلة الكتاب والسنة بما لا يترك للعاقل أن يتأول، ومن ذلك: قوله - تعالى -: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْوُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْوُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (الأنفال: ٢٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة». (رواه البخاري، وغيره).

رابعاً: نماذج من فهم السلف وورعهم:

وقد فهم سلفنا الصالح هذا وتورعوا عنه وعن سبيله جميعاً، فرفع الله بذلك قدرهم وأقام بين الأنام دولتهم، فكثرتهم من قلة وأعزهم من ذلة، وليس أوضح من ذلك من رفض عبدالله بن رواحة رضي الله عنه لفتنة اليهود وتعرضهم له بالرشوة من حلي نسانهم ليميل نحوهم في القسمة إذ قد أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرص بينه وبين يهود خيبر كما في الموطأ من حديث سليمان بن يسار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر، فيخرص بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حلياً من حلي نسانهم، فقالوا له: هذا لك، وخفف عنا وتجاوز في القسم. فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر اليهود، والله إنكم لن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فإما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت وأنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض «والتخريص هنا: هو تقدير المحصول.

وما أروع ما ورد عن أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين سيدنا عمر رضي الله عنه في مثل هذا مما يجعل الحليم حيران، ومنه

منع عمر رضي الله عنه أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس، خوفاً من أن يحابي أهله به: قال عبد الله بن عمر: اشتريت إبلاً وأنجفتها إلى الحمى، فلما سمعت قدمي بها، قال: قد خل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السوق فرأى إبلاً سماناً فقال: «لن هذه الإبل؟» قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: «يا عبد الله بن عمر يخ ابن أمير المؤمنين، قال: فجنته أسعى فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: «ما هذه الإبل؟» قال: قلت: إبل أنصاء اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: «ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين يا عبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل باقيه في بيت مال المسلمين» (السنن الكبرى للبيهقي: ٢٤٣/٦، ح ١١٨١١).

- وغيرها كثير من ذلك ما جاء في كتاب الأموال لابن زنجويه (٥٩١/٢) عن ابن عمر قال: شهدت جلوساً، فابتعت من المغنم باريعين ألفاً، فلما قدمت على عمر قال لي: لو عرضت على النار، فقبل لك، أفده، أكنت مفتدياً؟ قلت: والله، ما من شيء يؤذيك، إلا كنت مفتديك منه، فقال: كاني شاهد الناس حين تبايعوا، فقالوا: عبد الله بن عمر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين، وأحب الناس إليه، أنت كذلك، فكان أن يرخصوا عليك بمائة أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وإني قاسم مسؤول، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قریش، لك ربح الدرهم درهمًا، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه باريعمائة ألف فدفع إلي ثمانين ألفاً وبعث بالبقية إلى سعد بن أبي وقاص فقال: «اقسمه في الذين شهدوا الواقعة، ومن كان مات منهم فادفعه إلى ورثته» (وأصله في مصنف ابن أبي شيبة ٥٥٦/٦ ح ٣٣٧٧٩)، والحمد لله رب العالمين.

من أمثلة الشرك بالله

د/ عبد الحكيم حسام الدين

المعونة، وهذا كفر وشرك بالله، قال الله: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَفِلُونَ) (الأحقاف: ٥).

٦- الاستعانة بغير الله كقول شاعرة معاصرة في قصيدتها (ردة الرسول) للنبي: (يا سيدي اسمع دعائي كن معيني.. وأجب رجائي يا محمدا الأمين)، والله يقول على لسان المؤمنين (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَعْلَمُ الْغُيُوبِ) (الفتح: ٥). أحد الناس علق صورة شيخ فحينما سئل عنه قال: هو شيخ عظيم صاحب طريقة كذا، فقيل: افترض أنه شيخ عظيم كما قلت، فلم علقت صورته؟ قال: "حينما أهم بمعضية أنظر إليه فأستحي أن أفعل المعصية"، والنبي قال صلى الله عليه وسلم: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه مسلم.

أحد الناس دخل على ضريح السيدة زينب فما لبث أن سجد للضريح، فلما سئل حارس الضريح قال: من المؤكد أنه فعل ذلك لذنوب كبير ففعله، والله يقول على لسان الهدهد: (الْأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُغْتَفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ) (النمل: ٢٥).

٧- التشاؤم بالأرقام والأشخاص والأيام والشهور، إحدى الفتيات قال لها والدها: اذهبي للمدرسة اليوم فقالت: أنا متشائمة من هذا اليوم، ورجل يقول لآخر: وجهك نحس، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الطيرة شرك ثلاثا) رواه أبو داود عن ابن مسعود.

٨- شد الرجال إلى غير المساجد الثلاثة: مثل شدها إلى مسجد السيد البدوي والحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والدسوقي والقناوي، وخطاب أمواتها والبكاء عندها والخشوع لأصحابها والنذر والذبح لهم، علما بأن الصلاة في هذه المساجد مكروهة سدا لذريعة الشرك، والله يقول: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) (الأسراء: ٥٧). فهؤلاء الصالحون الذين يدعونهم هم في الأصل يتعبدون لله.

وبإذن الله نستأنف مظاهر أخرى للشرك بالله وصل اللهم وسلم على الرسول وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: قد قال الله في كتابه الكريم بعد ذكره لثمانية عشر رسولا: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ تَكَاتُفُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ) (الأنعام: ٨٨).

وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات يدعو من دونه الله ندا دخل النار". فقال ابن مسعود: فقلت أنا؛ ومن مات لا يدعو لله ندا دخل الجنة.

ومن صور الشرك بالله:

١- تعليق التماثيل والتعاويذ والخرز ونجمة البحر في وسائل المواصلات والبيوت، عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل إليه رهط فباع تسعة وأمسك عن واحد. فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: "إن عليه تميمة، فأدخل يده فقطعها فباعه وقال: من علق تميمة فقد أشرك". رواه أحمد (١٦٩٦٩)، والحديث صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٢).

٢- مطالعة باب حظك اليوم، وأنت والنجوم وقد قال الله: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ) (الأنعام: ٥٩).

٣- طلب المدد من غير الله مثل قول: مدد مدد يا رسول الله، أو مدد يا بدوي، والله تعالى قال: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُسَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مَائِدًا مِنْ السَّمَاءِ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (نوح: ١٠-١٢).

٤- الحلف بغير الله وإن كان صادقا، مثل قول: والنبي، والكعبة، بالذمة، بالأمانة، وحياة أبي، وحياة أمي، ورحمة أبي، والعيش والملح، علي الطلاق، علي الحرام من ديني، والنعمة، علي النعمة، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا" مصنف عبد الرزاق.

٥- الاستغاثة بغير الله مثل قول الشاعر مستغثا بالنبي صلى الله عليه وسلم: (اغثنني أجرتي، ضاع عمري، إلى متى بأثقال أوزاري..) فهو يشكو للنبي صلى الله عليه وسلم أنه محمل ومبتلى بأوزاره التي أضاعت عمره، فهو يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٥٤)

علي حشيش

العدد ٥٤٥

٤٩٣- «مَا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ اسْتَبَشَرَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِإِسْلَامِ عُمَرَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح ١٠٣)، والحاكم في «المستدرک» (٨٤/٣) من حديث عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن عبد الله بن عباس مرفوعاً، وقال الحاكم: «صحيح»، فتعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص» وقال: عبد الله ضعفه الدارقطني. اهـ.
قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٨٠/١/٣): «عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب، منكر الحديث». اهـ.

وهذا المصطلح عند الإمام البخاري بالاستقراء يدل على الضعف الشديد؛ حيث قال محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص ٨٩): «وكذلك قول البخاري: منكر الحديث؛ فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (٥/١) نقل ابن القطان أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: «منكر الحديث» فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

٤٩٤- «يَا أَبَا ذَرٍّ النَّهَارُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، فَأَعِدْ لِكُلِّ سَاعَةٍ مِنْهَا رَكَعَتَيْنِ وَسَجْدَتَيْنِ تَذَرَأُ عَنْكَ مَا فِيهَا».

الحديث لا يصح: أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٧٩٧/٢٤٣/٢) من حديث أبي ذر مرفوعاً، وعلمته عبد الله بن خراش بن حوشب، وهو متروك، ضعيف جداً، ليس بشيء، يضع الحديث، ذاهب الحديث كذاب كما بينا آنفاً، ثم قال الحافظ العقيلي: «أحاديث كلها غير محفوظة ولا يتابع عليها». اهـ.

٤٩٥- «مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَلَمْ يَعْمَلْ هُوَ بِهِ؛ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَكْفَى أَوْ يَعْمَلَ بِمَا قَالَ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (ح ٣٩١٩)، والحافظ أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢) من حديث عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن المسيب بن رافع عن ابن عمر مرفوعاً، وعلمته عبد الله بن خراش بن حوشب، وهو متروك ضعيف الحديث جداً، ليس

بشيء، يضع الحديث، ذاهب الحديث كذاب كما بينا آنفاً، وضعفه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (البقرة: ٤٤).

٤٩٦- «إن أكثر صياح أهل النار من التسوييف».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في الإحياء (١٢/٤)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا حديث لم أجد له أصلاً» اهـ.

٤٩٧- «مَا أُصِيبَ عَبْدٌ بَعْدَ ذَهَابِ دِينِهِ بِأَشَدِّ مِنْ ذَهَابِ بَصَرِهِ، وَمَا ذَهَبَ بَصَرُ عَبْدٍ فَصَبَرَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٦٥/٣٩٤/١) من حديث جابر عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعاً، وعلته جابر بن يزيد الجعفي، قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٩٨): «جابر بن يزيد الجعفي متروك» اهـ. قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص ٧٣): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه» اهـ.

٤٩٨- «الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة؛ فإن صادقا قلباً فيه الإيمان والحياء أقاما فيه، والا ارتحلا».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٢٥/٤)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا حديث لم أجد له أصلاً» اهـ.

٤٩٩- «أنا أقاتل على تنزيل القرآن، وعليّ يقاتل على تأويله».

الحديث لا يصح؛ أخرجه ابن السكن في «الصحابة» من طريق الحارث بن حصيرة عن جابر الجعفي، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن الأخضر بن أبي الأخضر عن النبي صلى الله عليه وسلم به، وقال: «الأخضر غير مشهور في الصحابة، وفي إسناده نظر» كذا في «الإصابة» في تمييز الصحابة (٥٩/٣٧/١) للحافظ ابن حجر، وقال: «وأشار الدارقطني إلى أن جابر تفرد به، وجابر رافضي» اهـ.

قلت؛ والحديث أورده الحافظ أبو الفضل المقدسي في «أطراف الغرائب والأفراد» من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني (٦٢٦/٤٠٢/١)، وقال: «غريب من حديث الأخضر عن النبي صلى الله عليه وسلم، تفرد به محمد بن كثير الكرخي عن الحارث عن جابر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عنه».

قلت؛ وأفته جابر الجعفي رافضي كذاب متروك؛ كما بينا آنفاً.

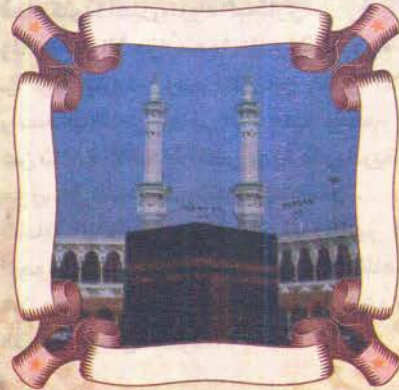
فقه

الابتلاء

د. ماهر بن حمد المعقلى

اعداد

امام المسجد الحرام



الابتلاء في حياة الأنبياء:

الابتلاء يكون على قدر العطاء؛ فعن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء»، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان دينه ضلماً، اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (رواه الترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»)- فلذا كان الأنبياء- عليهم السلام- مع ما هم فيه من البلاء- أشرح الناس صدراً، وأكثرهم تفاؤلاً؛

الحمد لله، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عظيم في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، حكيم في مقاديره وأحكامه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ابتلي بالسراء فشكر، وبالضراء فصبر، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم لقائه.

أما بعد.. معاشر المؤمنين: فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحديد: ٢٨).

أمة الإسلام؛ لم يجعل الله تعالى مقراً دائماً لعباده، ولا دار نعيم لأوليائه، ولكنه أرادها بحكمته دار ابتلاء واختبار، يُمَخِّصُ عبادَه فيها بالبلايا، ويختبرهم بالمحن والزوايا، (وَبَلَّوْكُمْ بِالْغُرِّ وَالْمُغْرِبِ فَتَنًا وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: ٣٥).

وما من مؤمن بالله واليوم الآخر إلا كان له نصيب من الابتلاء، كما أخبر بذلك رب الأرض والسماء، فقال- جل جلاله، وتقدست أسماؤه-: (أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُزَكَّرُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) ٥ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (العنكبوت: ٣٠، ٢).

وكان مما قال- عليه الصلاة والسلام-: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولما مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك».

وفي السنة الخامسة من الهجرة النبوية اجتمع الأحزاب لقتال النبي- صلى الله عليه وسلم-، فجاؤوا من كل صوب وحذب، والنبي- صلى الله عليه وسلم- صابر محتسب مع شدة الأمر والكر.

ففي «صحيح البخاري»، عن البراء- رضي الله عنه- قال: كان النبي- صلى الله عليه وسلم-، ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه يقول: «والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينتنا علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الألى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا»، ورفع بها صوته: «أبينا، أينا».

وبينما هم كذلك في حفرهم للخندق، وقد مكثوا في حفره نصف شهر، أنهكهم الجوع فيها وأرهقهم السهر؛ إذ عرضت لهم صخرة شديدة كسرت معاويلهم، وأوهنت قواهم.

يصف ذلك الحال جابر- رضي الله عنه- بقوله: «إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، أي: صخرة، فجاءوا النبي- صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر- أي: من الجوع-، ولبتنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا.

فأخذ النبي- صلى الله عليه وسلم- المعول فضرب، فعاد كثيبا أهيل؛ رواه البخاري.

ولما اجتمع الأحزاب حول المدينة النبوية- وكان ذلك في ليال باردة-، وهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل، وأصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- لا يزيدون عن ثلاثة آلاف؛ إذ تقص يهود بني قريظة عهدهم مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

فضاق الخطب، واشتد الكرب، وظهر الخوف مع الجوع والبرد، وانقطعت الأسباب الظاهرة للنصر؛ فلا عدد ولا عدة، فكانت شدة وأنى شدة؟! وصفها الله- عز وجل- بقوله: (إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) (الأحزاب: ١٠، ١١).

فخليل رب العالمين إبراهيم- عليه السلام- لما ألقى في النار قال: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران: ١٧٣).

وهذا كلم الله موسى- عليه السلام- حصر مع قومه بين بحر متلاطم وعدو غاشم، فقال أصحابه: (إِنَّا لَنَذْكُرُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الشعراء: ٦١، ٦٢).

ولما فقد يعقوب- عليه السلام- أحب أبنائه إليه قال: (يَنبِيُّ أَذْهَبُوا مَحْسُوسًا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف: ٨٧).

البلاء النبي صلى الله عليه وسلم:

وأما نبينا- صلوات ربي وسلامه عليه- فقد لقي من البلاء ما لقي؛ أذاه قومه وطردوه من بلده، وتأمروا على قتله: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرَ الْمَكْرِيينَ) (الأنفال: ٣٠)، فكان- صلى الله عليه وسلم- أجمل الناس صبرا، وأحسنهم بالله ظنا.

وفي معركة أحد كسرت ربايعيته، وجرح وجهه، وشج رأسه، فلم تنزل دماؤه الزكية تسيل على وجهه الطاهر، فجعل يسال الدم عنه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟»، وكسروا ربايعيته وهو يدعوه إلى الله. (متفق عليه).

وأصيب- صلى الله عليه وسلم- يوم أحد في أصحابه، وفي أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه: عمه حمزة- رضي الله عنه وأرضاه- وقد بقر بطنه، وجُدع أنفه ومثل به، فدفن في سفح الجبل مع سبعين رجلا من خيرة أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم-.

حتى تمنى- صلى الله عليه وسلم- أن لو كان شهيدا يوم ذاك معهم؛ ففي «مسند الإمام أحمد»، بسند حسن، أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي يحضن الجبل»- بيد أن التسليم لله لم يلبث هذه الأحزان العارضة، وعاد- صلى الله عليه وسلم- يتفقد أصحابه ويخفف مصائبهم، ويظهر الرضا لقضاء الله وقدره فيما أصابهم.

ففي «مسند الإمام أحمد»، وغيره بسند صحيح، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لما فرغ من دفن الشهداء يوم أحد قال لأصحابه: «استأثروا حتى أئتي على ربي»، فصاروا خلفه صفوفا، فوقف طويلا يُثني على الله تعالى بما هو أهله.

ومع ذلك كله كان- صلى الله عليه وسلم- يُبَشِّرُ أصحابه بموعود ربهم، وتفريج كربهم، وهلاك عدوهم.

ففي «السنن الكبرى» للبيهقي: لما اشتد البلاء على النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، نافق ناس كثير، وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما فيه الناس من البلاء والكر، جعل يُبَشِّرُهُمْ ويقول: «والذي نفسي بيده: لَيُفْرَجَنَّ عَنْكُمْ ما ترون من الشدة والبلاء، فإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق أمنا، وأن يدفع الله- عز وجل- مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتتفقد كنوزهما في سبيل الله».

وما انفرجت الكروب- يا عباد الله- إلا بالتوحيد؛ فقد كان- صلى الله عليه وسلم- حال حصارهم يُكْثِرُ من قول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده» (رواه البخاري ومسلم).

وأما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فحالهم كما هو في كل زمان ومكان، يرجفون ويخذلون؛ لينشروا الخوف والضعف في صفوف المؤمنين، فكان بعضهم يقول: بعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى حاجته!

بل أخذ بعضهم يستاذن النبي- صلى الله عليه وسلم- بالرجوع إلى الدور ويقول: **(إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)** (الأحزاب: ١٣)، **(وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)** (الأحزاب: ١٢).

وأما المؤمنون الصادقون فإنهم لا يفقدون صلتهم بربهم، وثقتهم بخالقهم، مهما أصيبوا في سبيل الله؛ فالصحابة- رضي الله عنهم وأرضاهم- أحسنوا الظن بالله فثبتوا، وتوكلوا عليه فنصروا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: «غزوة الأحزاب نصر الله فيها عبده، وأعز فيها جنده بغير قتال؛ بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم، **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)** (الأحزاب: ٢٢).

أهمية حسن الظن بالله:

معاشر المؤمنين: إن حسن الظن بالله عبادة قلبية جليلة لا يتم إيمان العبد إلا بها، وهو ما تقتضيه أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ومن أحسن ظنه بالله آتاه الله إياه؛ ففي الحديث المتفق على

صحته: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي»، قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-: «والله الذي لا إله غيره؛ ما أعطي عبد مؤمناً شيئاً خيراً من حسن الظن بالله، والذي لا إله غيره؛ لا يُحَسِّنُ عبد بالله- عز وجل- الظن إلا أعطاه الله- عز وجل- ظنه؛ ذلك بأن الخير في يده».

ولئن كانت الحاجة إلى حسن الظن بالله مطلباً في كل الأحوال، فإنها حال المصائب والشدائد تعظم الحاجة وتتأكد.

ففي «صحيح البخاري»، عن خباب بن الارت- رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة-، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من كان قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصد ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

وفي تاريخ أمتنا الطويل أحداث جسام، وواقعات عظام، كشفها الله تعالى بالتوبة إليه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم: **(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ)** (غافر: ٥١).

والمؤمن- يا عباد الله- قد يشتد عليه الكرب والخطب، وتحيط به الفتن والمحن، ويخيم عليه الهم والغم، ولكنه مؤمل في ربه، واثق بنصره، مستبشر بتأييده، مترقب لفرجه وكرمه، أخذ بأسباب النصر والتمكين كما أمره.

أمة الإسلام: إن ما يحدث في بلاد المسلمين اليوم يُوجب عليهم أن يقفوا بكل حزم وعزم أمام كل ما يهدد استقرارهم، أو يعتدي على مقدساتهم، أو يسبب الفرقة بينهم.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى التعاضد مع قادتهم وولاة أمرهم؛ لتجتمع كلمتهم، ويقضوا صفاً واحداً أمام عدوهم، وصدق الله إذ يقول: **(وَلَا تَنْزِعُوا عَنْهَا لَكُمْ وَرَغْمًا مَا تَصِفُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ)** (الأنفال: ٤٦).

والحمد لله رب العالمين.

اللقطة واللقيط

آداب وأحكام

الحلقة الثانية

الحمد لله، نحمده، ونُستعينه، ونُستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فقد تناولنا في المقال السابق تحت هذا العنوان:

تعريف اللقطة لغة، واصطلاحاً.

أنواع اللقطة. وها نحن نعود للحديث عن آداب وأحكام اللقطة واللقيط، وسوف نتناول في هذا العدد بإذن الله تعالى:

محمد عبد العزيز السيد

إعداد

وضعف الأمانة، ويعلم أنه إذا التقطها، فإنما يلتقطها لنفسه لا ليحفظها على صاحبها، فهذا يحرم عليه التقاطها، لحديث زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من آوى ضالة فهو ضال، ما لم يعرفها». رواه مسلم (١٧٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٠٦).

فإن لم يعلم من نفسه الخيانة، ولا ظنّها، لكن خشي على نفسه مستقبلاً أن يطعم فيها، أو يقصر في تعريفها كره له التقاطها.

وهل يجب الإشهاد على الالتقاط؟

اختلف في ذلك أهل العلم على مذهبين:

فذهب الحنفية في ظاهر المذهب إلى وجوب تعريف اللقطة، وهو أحد قولي الشافعي، لحديث عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ وَجَد لُقْطَةً فَلْيُشْهَدْ ذَا عَدْلٍ - أَوْ ذَوِي عَدْلٍ - وَلَا يَكْتُمْ، وَلَا يُغَيِّبْ، فَإِنْ وَجَدَ صَاحِبَهَا فَلْيُرْدهَا عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ مَالُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». رواه أبو داود (١٧٠٩)، وابن ماجه (٢٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥٧٧٦) و(٥٧٧٧).

الحكم التكليفي المتعلق بالالتقاط.

حكم تعريف اللقطة.

الحكم التكليفي المتعلق بالالتقاط:

يختلف الحكم التكليفي المتعلق بالالتقاط باختلاف المكلفين، ويمكننا أن نقسمهم في هذا الباب إلى قسمين إجمالاً:

الأول: المكلف الأمين، الذي يعلم من نفسه القوة على:

حفظ اللقطة.

وتعريفها في مكان وجدانها.

فهذا يستحب له الالتقاط، إن خشي على اللقطة الضيعة، حفظاً لمال أخيه، ويدل على هذا الأدلة العامة للتشريع فمن ذلك قول الله تعالى: (وَمَّا وَثَّقُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْقَوَىٰ وَلَا تَمَوتُوا عَلَى الْآثَرِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَيِّدُ الْعَقَابِ) (المائدة: ٢).

وان لم يخش على اللقطة الضيعة: أبيح له التقاطها وتعريفها، ولم يستحب؛ لأنه تكليف للنفس بغير ضرورة، ولا حاجة.

وان تيقن أنه لو تركها ضاعت على صاحبها، لعلمه بعدم وجود يد أمينة غيره: وجب عليه التقاطها؛ لأن حفظ المال واجب، وهو كلي من كليات الشريعة.

الآخر: المكلف الذي يعلم من نفسه الخيانة،

ظاهر مذهب الحنفية.

والصحيح المذهب الأول لصحة ما عللوا به.

حكم تعريف اللقطة:

أما تعريف اللقطة ذات القيمة التي يطلبها أصحابها ويبحثوا عنها إذا فقدوها، فحكمه الوجوب، ويكون ذلك في مكان وجدانها، وعلى رؤوس الأشهاد، وفي مجامع الناس في الأسواق، وعلى أبواب المساجد، ونحو هذا؛ لأنه هو الوسيلة إلى ردها إلى صاحبها، وينبغي أن يذكر شيئاً من صفاتها ليتنبه صاحبها، ولا يمعن في ذكر الأوصاف فيتنبه أهل الخيانة فيدعونها.

ولا يكون ذلك في المساجد؛ لأنها لم تبني لهذا، لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من سمع رجلاً ينادي ضالة في المسجد، فليقل لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبني لهذا» رواه مسلم (٥٦٨).

وهل استخدام مكبرات صوت المساجد، لإيصال الصوت خارج المسجد لا داخلها تدخل في حكم إنشاد الضالة في المساجد؟

الظاهر- عندي- أنها لا تدخل، ولا كراهة في ذلك إذا اشتدت الحاجة لمثلها، ولم يكن ثم وسيلة أخرى.

ومدة تعريف اللقطة ذات القيمة حول كامل لحديث زيد بن خالد بن زيد الجهني صاحب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «سئل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن اللقطة الذهب أو الورق؟ فقال: اعرف وكاءها، وعفاصها، ثم عرفها سنة، فإن لم تعرف فاستنفقها، ولتكن ودیعة عندك، فإن جاء طالبها يوماً من الدهر فادها إليه». رواه البخاري (٢٣٧٢)، ومسلم (١٧٢٢).

الوكاء: بكسر الواو والخيط الذي تشد به الصرة أو الكيس.

العفاص: بكسر العين، الوعاء الذي تكون فيه النفقة جلدأ كان أو غيره.

هذا وللحديث بقية

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

والأمر في قوله- صلى الله عليه وسلم-: « فليشهد » للوجوب ما لم يصرفه عنه صارف، ولا يوجد له صارف ناهض.

-ومذهب الجمهور إلى استحباب تعريف اللقطة لا إلى وجوبها، وحملوا الأمر بالإشهاد في الحديث على التنبؤ؛ لأنه- صلى الله عليه وسلم- أمر زيد بن خالد الجهني، وأبي بن كعب- رضي الله عنهما- وغيرهما بتعريف اللقطة، ولم يأمرهم بالإشهاد على ذلك، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

قال البغوي في شرح السنة (٣١٥/٨): «وهذا أمر تأديب وإرشاد، وذلك لمعينين؛

أحدهما: ما لا يؤمن أن يحمله الشيطان على إمساكها، وترك أداء الأمانة فيها.

والثاني: ربما تخترمه المنية، فتحوزها ورثته في جملة التركة.

وقد قيل: الإشهاد واجب». وانظر معالم السنن للخطابي (٩٠/٢).

قال في عون المعبود (١١٤/٤): «وقال الأولون، هذه الزيادة بعد صحتها يجب العمل بها فيجب الإشهاد، ولا ينال ذلك عدم ذكره من الأحاديث. والحق وجوب الإشهاد».

وهل يد الملتقط أمانة أم ضامنة؟

ويد الملتقط: يد أمانة لا تضمن الأمانة إلا بالتفريط، فإن تلفت بغير تفريط منه لم يضمنها، وإن فرط فيها ضمنها.

وما الحكم إن رد اللقطة إلى مكانها بعد التقاطها؛ فتلفت، أو ضاعت على صاحبها؟

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين؛ الأول: أنه إن ردها مكانها بعد التقاطها فضاقت، أو تلفت ضمنها، لأنه بالتقاطها يجب عليه إيصالها إلى صاحبها على قدر الوسع والطاقة، فإن فرط في ذلك تعين عليه الضمان.

الآخر: أنه إن ردها مكانها بعد التقاطها فضاقت، أو تلفت لم يضمنها؛ لأنه إنما أخذها على وجه التبرع والإرفاق، فإن ردها فقد فسخ عقد التبرع، فصار كأن لم يأخذها، هذا إذا كان قد أشهد على التقاطها، أو صدقه المالك، وهو

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى
آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن بعض الأمور التربوية
التي ينبغي للوالدين مراعاتها لتكوين علاقة جيدة
مع أبنائهم، ومن ذلك:

١١- إشباع عواطفهم؛ فمما ينبغي مراعاته مع
الأولاد إشباع عواطفهم، وإشعارهم بالعطف
والرحمة والحنان؛ حتى لا يعيشوا محرومين من
ذلك، فيبحثوا عنه خارج المنزل؛ فالكلمة الطيبة
واللمسة الحانية والبسمة الصادقة وما جرى مجرى
ذلك له أثره البالغ في نفوس الأولاد.

١٢- التفقة عليهم بالمعروف، وذلك بكفايتهم والقيام
على حوائجهم؛ حتى لا يضطروا إلى البحث عن
المال خارج المنزل.

١٣- إشاعة الإيثار بينهم؛ وذلك بتقوية روح التعاون
بينهم، وتثبيت أواصر المحبة فيهم، وتعويدهم على
السخاء، والشعور بالآخرين؛ حتى لا ينشأ الواحد
منهم مغالياً في حب ذاته، ولا هم له إلا خاصة نفسه.
ثم إن تربيتهم على تلك الخلل تقضي على كثير من
المشكلات التي تحدث داخل البيوت.

١٤- الإصغاء إليهم إذا تحدثوا، وإشعارهم بأهمية
كلامهم؛ بدلاً من الانشغال عنهم، والإشاحة
بالوجه، وترك الإنصات لهم.

فالذي يجدر بالوالد إذا تحدث ولده- خصوصاً
الصغير- أن يصغي له تماماً، وأن يبدي اهتمامه
بحديثه، كأن تظهر علامات التعجب على وجهه،
أو يبدي بعض الأصوات أو الحركات التي تدل على
الإصغاء والاهتمام والإعجاب، كأن يقول: رائع،
حسن، صحيح، أو أن يقوم بالهمهمة، وتحريك الرأس
وتصويبه، وتصعيده، أو أن يجيب على أسئلته أو
غير ذلك، فمثل هذا العمل له آثار إيجابية كثيرة
منها:

أ- أن هذا العمل يعلم الولد الطلاقة في الكلام.

ب- يساعده على ترتيب أفكاره وتسلسلها.

ج- يدربه على الإصغاء وفهم ما يسمعه من
الآخرين.

د- أنه ينمي شخصية الولد، ويصقلها.

هـ- يقوي ذاكرته، ويعينه على استرجاع ما مضى.

و- يزيده قرباً من والده.

هذه بعض الأساليب التي تنهض بالمشاعر، وترهف



فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد وبين الزوجين

الحلقة الثالثة

د. محمد إبراهيم الحمد

اعداد /



الأذواق لدى الأولاد، وحول فقر المشاعر في الحياة الزوجية، فهذا ما نتحدث عنه الآن:

فقر المشاعر في الحياة الزوجية

فمن البيوت ما يخيم عليها الصمت المطبق، ويسودها السكون الموحش، فلا تأنس الزوجة فيها بحديث زوجها، ولا هو يأنس بحديثها، ولا يسمع أحدهما من الآخر كلمة عطف أو حنان، أو رحمة. ومن الأزواج من يكثرون لوم زوجته، وانتقادها عند كل صغيرة وكبيرة؛ فتراها ينتقد الطعام التي تعده الزوجة، وتراه يعاقبها إذا بكى أولاده الصغار، أو كثر عبثهم، وتراه يبالغ في تأنيبها إذا نسيت أو قصرت في أي شأن من شئونه.

وأقبح ما في ذلك أن يعنفها فيما لا قدرة لها عليه، كأن يلومها إذا كانت لا تنجب، أو لا تنجب إلا بنين فحسب، أو بنات فحسب، ويلومها إذا أنجبت ولداً مصاباً ببعض العيوب الخلقية، فيجمع بذلك بين ألمها في نفسها وبين إساءته البالغة التي تقض مضجعها، وتؤرق جفنها.

وما هذا بمسلك العقلاء، ذلك أن كثرة اللوم لا تصدر عن ذي خلق كريم أو طبع سليم؛ ثم إن ذلك يورث النفرة، ويوجب الرهبة.

فدع العتاب قرب شر

هاج أوله العتاب

فالزوج العاقل الكريم لا يعاتب زوجته عند أدنى هفوة، ولا يؤاخذها بأول زلة. بل يلتمس لها المعاذير، ويحملها على أحسن المحامل.

وإن كان هناك ما يستوجب العتاب عاتباً لئناً رقيقاً تدرك به خطاها دون أن يهدر كرامتها، أو ينسى جميلها.

ثم ما أحسن أن يتغاضى المرء ويتغافل، فذلك من دلائل سمو النفس وشفافيتها أو أريحيته، كما أنه مما يعلي المنزلة، ويريح من الغضب وآثاره المدمرة. وإن أتت المرأة ما يوجب العتاب فلا يحسن بالزوج أن يكرر العتاب، وينكا الجراح مرة بعد مرة؛ لأن ذلك يفضي إلى البغض، وقد لا يبقى للمودة عيناً ولا أثراً. ومما يعين الزوج على سلوك طريق الاعتدال في عتاب الزوجة أن يوطن نفسه على أنه لن يجد من زوجته كل ما يريد، كما أنها لن تجد فيه كل ما تريد؛ فلا يحسن به - والحالة هذه - أن يعاتب

في كل الأمور، وأن يتعقب كل صغيرة وكبيرة، فأي الرجال المهذب؟ ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟ ثم إن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من كثير من عيوبه؛ فعلام نحمل الآخرين فوق ما يطيقون، ونحن عن تلافي كثير من عيوبنا عاجزون؟

ولا يعني ما مضى أن يتساهل الزوج في تقصير الزوجة في الأمور المهمة نحو القيام بالواجبات الدينية، أو رعاية الآداب المرعية، أو التزام ما تقتضي به الصيانة والعفة؛ فهذه أمور يجب أن توضع على رأس الأشياء التي لا يقبل التنازل عنها بحال.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وأن أعوج ما في الضلع أعلاه». (متفق عليه).

فالحديث الشريف يعلم الرجل كيف يسلك في سياسة الزوجة طريق الرفق والأناة؛ فلا يشتد ويبالغ في ردها عن بعض آرائها التي بها عوج؛ فإن ذلك قد يفضي إلى الفراق.

كما أنه لا يتركها وشأنها؛ فإن الإغضاء عن العوج مدعاة لاستمراره أو تزايد.

والعوج المستمر أو المتزايد قد يكون شؤماً على المعاشرة، فتصير إلى عاقبة مكروهة.

وبعد ذلك فقد يقع من الزوج شدة في العتاب، أو إسراف في اللوم، فيحسن به إذا وقع منه ذلك أن يبادر إلى الاعتذار، أو الهدية، وإظهار الأسف، والاعتراف بالخطأ دون أن تأخذه العزة بالإثم؛ فما هو إلا بشر، وما كان لبشر أن يدعي أنه لم يقل إلا صواباً.

فاذا أخذ الزوج بهذه الطريقة قل عتابه، وأراح نفسه، وسما بخلقه، وحافظ على مشاعره.

قال ابن حبان رحمه الله: «من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحنة». (روضة العقلاء لابن حبان ص ٧٢).

ولحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا، ويبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفكر الإسلامي

د. أحمد منصور سيالك

إعداد/

هنا يجب أن نقف قليلاً.. لأن بعض مدّعي الفكر يظنون أن الفكر في أي مساحة من الشريعة يؤدي إلى مواكبة التطور والحضارة، وأنه كمفكر له الحرية في أن يفكر في كل شيء بأية طريقة كانت، هذا إن صح أنه يطلق عليه أنه: مفكر.

ففي المقالات السابقة توصلنا إلى أن الفكر الإسلامي هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، ولهذا كان تعريفه: دوران الشيء مجهول العين بين الوجود والعدم. وإذا وصفنا الفكر بأنه إسلامي؟ فهذا يُثبت انتماؤه للإسلام؟ بمعنى أنه لا بد له من مصادر حددها الإسلام.

فمثلاً: القرآن حدد مصادر الفكر بمصدرين:

الأول: الوحي.

ثانياً: الكون.

فالأول: كما في قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ إِشْرَافًا لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَقَلَّهِمْ تَفَكُّرٌ» (التحل: ٤٤)؛ الذكر هنا هو السنة، وما نزل إليهم: القرآن.

أما الثاني وهو الكون: فقد وردت آيات كثيرة في القرآن تبين هذا الأمر، فأيات الكون كثيرة جداً، وحاصل تدبرها الآن: إما يكون الحديث فيها عن الطبيعة: كسفن الأفاق من سماء وأرض وحيوان.. وغيرها، وذلك بمعرفة القوانين الكونية للطبيعة. وإما عن الإنسان: كالأنفوس، وكقيام الحضارات وسقوطها، ومعرفة قوانين المجتمعات الإنسانية.

هذا مع العلم بأن مصادر الفكر تدور حول وسائل المعرفة الثلاثة: (القلب، والعقل،

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

دار حوار بيني وبين أحد المفكرين من الكبار- على حسب ما عرّفني بنفسه- في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.

وبدأ الحديث بعد أن عرّفني أنه من المفكرين الكبار- على حد قوله- في الفكر الإسلامي، حول حجية السنة النبوية، فقال:

أنا لا أعتقد بأنها حجة!!

فقلت: حكمك على السنة يُعتبر فكراً؟ أم يُعتبر نتيجة للفكر؟

فقال: وما الفارق؟

قلت: كبير!!

فسأله: ما الفكر؟

فقال: دوران الشيء بين القبول والرفض.

قلت: ممتاز.

ثم قلت: وهل ينطبق هذا على كون السنة ليست حجة؟

فغضب غضباً شديداً وانصرف.. وكنت أتمنى قبل انصرافه أن أسأله: لماذا تضيقون ذرعاً بمن يفكر على مذهبيكم؟

فالسنة عندنا حجة لا مجال فيها للتشكيك. ولسرعان ما رجعت لأصل كلامي، وأن هذه المقالة تحت عنوان أين يقع الفكر؟ كما وعدت في مقالتي السابقة.

وهذا السؤال يمكن أن نسأله بطريقة أخرى: ما المساحة التي يترك للإنسان أن يفكر فيها؟ وأقصد بالمساحة: أي الموجودة في الشريعة الإسلامية؟ فهل الفكر في أي شيء في الشرع؟ أم يعتمد على أمور دون أخرى؟

والسؤال الذي لا بد أن يكون: هل يجوز الفكر في الثوابت؟

وهو كل مُستخرج شيئاً كان مستتراً عن الأبصار فهو مستنبط، كما قال ابن جرير: أو كما قال الجرجاني: هو استخراج المعاني من النصوص بقوة الذهن وفطرت القرينة.

وأصله في كتاب الله تعالى: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (النساء: ٨٣).

ولهذا المنهج عند الأصوليين أدوات ومبادئ ليس المقام محلاً لذكرها، ونجدهم يقولون عنه: طريقة من التفكير يحكم العقل بموجيها في قضية ما، بناء على قانون سابق.

أما الثاني: المنهج الاستقرائي، والاستقراء هو التتبع، ولذلك يُعرف بالآتي: هو حالة صعود من النظر في الجزئيات للتوصل إلى أمر كلي كقاعدة عامة.

وعندنا نسميه بالقواعد الفقهية، وعند الغرب هو المنهج العمدة والأهم في العلوم التجريبية عندهم، وينسبونه لـ «بيكون» رغم أن المسلمين هم من أصلوه وهذبوه، ووضعوا قواعده وأسسها.

وأما الثالث: فهو المنهج الاستردادي، ويعتمد عندهم على الوجدان والخيال، وأعمل هذا المنهج في العلوم التجريبية، أما الوحي فعندهم أمر مبهم، اختلفوا في شأنه، فمنهم من قال: إلهام، ومنهم من قال: نوبات صرعية.. إلخ، لكن عندنا نسميه: منهج النقل وتحقيق الأخبار، وهناك علوم تبحث وتقوم عليه، مثل علم المصطلح، وعلم الرجال، وعلم التاريخ.. إلخ.

فلم يسبقونا في هذا أيضاً، ومع ذلك نقول للمفكرين المعاصرين الذين تلقوا من الغرب آليات العلم والفكر: بأي المناهج تفكرون؟ وبأي الطرق في الفكر تسلكون؟

ولأن الإجابة على هذين السؤالين هي مضمون المقدمة لسؤالي الذي افترضته في بداية مقالتي: أين يقع الفكر؟

حتى أستطيع مناقشة المسافة التي يقع فيها الفكر عندنا كمسلمين، بمصادر فكرنا وآلياته وخصائصه ومناهجه التي ذكرتها سابقاً.

وهذا ما سيكون فيه الكلام بالمقالة القادمة- إن شاء الله- أترككم في رعاية الله وأمنه، وصلى اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

والجواس).

وقد ذكرها الله تعالى في قوله: «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (الإسراء: ٣٦)، ولهذا قال المفكرون الإسلاميون قديماً:

إن للفكر الإسلامي خصائص، منها:

أولاً: الربانية في المصدر والغاية:

وذلك للعصمة من التناقض، والبراءة من التحيز والهوى، وسهولة الانقياد للمصدر مع وضع الغاية والهدف إرضاء لله تعالى.

ثانياً: نزعة إنسانية:

مع العلم بأن الإنسان مستخلف في الأرض، خلُق في أحسن تقويم، قد سُخِّرَ الكون لخدمته، لا وسائل كهنوتية بينه وبين ربه.

ثالثاً: الشمول والوسطية والثبات:

فيجب أن يكون محل فكره شاملاً للأشخاص والأزمان والأحوال، بوسطية واعتدال، وبثبات في أصوله وأهدافه، مع المرونة الموجودة في فروعه ووسائله.

رابعاً: واقعيته مع احترام العقل ووضوحه.

حيث يكون الفكر واقعياً يحترم العقل، يراعي سنة التدرج في النزول من المثل الأعلى إلى الواقع، بوضوح تام لا لبس فيه.

سادساً: يقدر التجارب الإنسانية:

ألا يهدم تجارب غيره في الفكر، بل يقدرها، ويجعل لها نصيباً من فكره، لا يدعي أن المفكر صاحب الفكر الأوحده.

هذا!! وقد وجدنا الغربيين من المفكرين يضعون مناهج للفكر عندهم من خلالها تتم عملية التفكير، وهذه المناهج رغم تسميتها بأسماء تعرف عندهم إلا أنهم لم يسبقونا- نحن المسلمين- إليها، سماها المسلمون: «مناهج التعامل مع النصوص»، وسموها هم: «مناهج التفكير السليم».

فالمنهج: هو الطريق الواضح المؤدي إلى بلوغ الحقائق بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل حتى يصل إلى النتيجة. وهذا التعريف للمنهج محل اتفاق بيننا وبينهم، رغم أنهم اختلفوا في مناهج البحث؛ لقولهم: العلم يرتبط بأبعاد زمانية ومكانية متعددة.

فقالوا: المناهج ثلاثة:

الأول: المنهج الاستنباطي؛

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
تكلّمنا في الحلقة السابقة عن النهي عن الكلام في
الصلاة، وذكرنا قول الإمام النووي أن كلام المصلي على
ثلاثة أقسام (أحدها) أن يتكلم عامداً لا لمصلحة
الصلاة فتبطل صلاته بالإجماع، نقل الإجماع فيه
ابن المنذر وغيره لحديث معاوية بن الحكم السابقي
وحديث ابن مسعود وحديث جابر وحديث زيد بن
أرقم، وغيرها من الأحاديث التي ذكرناها.
وبينا أن الكلام إلى الغير في الصلاة، وإن كان الأصل
فيه المنع؛ إلا أن هناك حالتين ذكرهما أهل العلم
يجوز فيهما الكلام الموجه للآخرين:

الحالة الأولى: حالة الفتح على الإمام:

وقد اختلف الفقهاء في بعض أحكام الفتح على الإمام
بعد اتفاقهم على مشروعيتها إجمالاً. وصورة هذه
الحالة في قراءة الإمام في الصلاة الجهرية فأخطأ في
قراءة القرآن، أو توقف عن القراءة لعرض من نسيان
فيجوز للمصلي أن يصحح له ما أخطأ فيه أو يقرأ
عليه ما نسي من آيات ولا يزيد على القراءة شيئاً.
قال النووي: «إذا أرتج على الإمام ووقفت عليه القراءة
استحب للمأموم تلقينه، وكذا إذا كان يقرأ في موضع
فسها وانتقل إلى غيره استحب تلقينه». (المجموع
٢٣٩/٤).

واستدل العلماء علي ذلك بحديث عبد الله بن عمر:
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فالتبس
عليه فلما فرغ قال لأبي: (أشهدت معنا؟) قال: نعم
قال: (فما منعك أن تفتحها علي) رواه أبو داود وابن
حبان، قال شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات.
واستدلوا أيضاً بحديث المسور بن يزيد المالكلي قال
«شهدت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في
الصلاة، فترك شيئاً لم يقرأه، فقال له رجل: يا رسول
الله تركت آية كذا وكذا، فقال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم -: هلا أذكرتنيها؟» رواه أبو داود وحسنه
الألباني.

ووجه الدلالة من الحديثين طلب النبي - صلى الله
عليه وسلم - لمن حضر الصلاة معه من الصحابة
بالفتح عليه وتذكيره بما نسي من القرآن.

والحالة الثانية: احتياج الإمام للتنبيه

على خطأ أو سهو وقع في الصلاة:

فإن أخطأ الإمام في فعل من أفعال الصلاة: كأن جلس في

باب الفقه

أحكام الصلاة

الأشياء التي ورد

النهي عنها في الصلاة

الكلام في الصلاة

الحلقة الثانية

د. حمدي طه

اعداد /

آخر الركعة الأولى، أو أراد النهوض من الركعة الثانية دون جلوس؛ فإن المصلين يسبحون بالقول (سبحان الله) إن كانوا رجالاً، ويصفقون بأُكْفُهُنَّ فحسب إن كنَّ نساء. وكذلك يسبحون إن نابتهم نائبة في أثناء صلاتهم.

والأصل في ذلك هو ما رواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليُصلح بينهم وحانت الصلاة، فجاء بلال إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: أتصلي للناس فأقم؟ قال: نعم، فصلى أبو بكر، فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- والناس في الصلاة فتحلّص حتى وقف في الصف فصقّ الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت أبو بكر فرأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فأشار إليه أن اثبت مكانك، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله تعالى على ما أمره به رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدّم النبي - صلى الله عليه وسلم- فصلى.

فلما انصرف قال: يا أبا بكر ما منعك أن تلبث إذ أمرتك؟ فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: ما لي رأيتم أكثرتم التصفيق؟ من نابه شيء في صلاته فليسبح، فإنه إن سبّح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء».

وفي رواية أخرى لابن حبان من طريق سهل بن سعد «... ثم قال للناس: إذا نابكم في صلاتكم شيء فليسبح الرجال، وتُصفق النساء».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء» رواه مسلم.

وفي رواية أخرى لمسلم بزيادة «في الصلاة» في آخرها.

فلا يزيد الرجل إن احتاج لمخاطبة الغير على أن يسبح، والتسبيح من جنس كلام الصلاة. (الجامع لأحكام الصلاة محمود عبد اللطيف عويضة: ٣١٣/٢).

ووجه الدلالة قوله - صلى الله عليه وسلم- في الحديث: «شيء»؛ فهي تكرة في سياق الشرط فتعم أي شيء يكون، سواء كان هذا الشيء مما يتعلق بالصلاة، أم مما يتعلق بأمر خارج، كما لو استأذن عليه أحد، أو ما أشبه ذلك.

فهذا يشمل التنبيه على الخطأ، ويشمل التنبيه على الأمر، مثلاً لو أن شخصاً قرع عليك الباب وأنت تصلي تقول: سبحان الله. أو قرع على المرأة وهي تصلي صفقت، ولو أن امرأة تصلي وطفلها اقترب من نار أو اقترب من شيء فيه ضرر وبجانبها زوجها ساه عنه صفقت بيدها أو هو يقول: سبحان الله تنبيهاً لها؛ فالرجل يسبح والمرأة تصفق سواء كان في التنبيه على الخلل في الصلاة أو غيره فإن انتبه المنبه بمرة واحدة، لم يعد مرة أخرى؛ لأنه ذكر مشروع لسبب فيزول بزوال السبب، وإن لم ينتبه بأول مرة كرره؛ فيسبح ثانية وثالثة حتى ينتبه المنبه. (دروس عمدة الفقه للشنقيطي ٤٤٥/٢).

فائدة:

فإن قيل: لماذا خصّ التنبيه بالتسبيح دون غيره من الذكّر؟

فالجواب: أن التسبيح يكون فيما إذا حدث للإمام نقص صادر عن نسيان أو خطأ، فناسب أن يكون التنبيه بالتسبيح؛ الذي هو تنزيه الله عن كل نقص.

ويستفاد من الحديث أيضاً أنه يشرع للمرأة أن تنبه كما يشرع للرجل وهنا ترد مسألة وهي هل تقتصر النساء على التصفيق أم يمكن أن يسبحن؟

إذا نظرنا إلى عموم الحديث قلنا: إن ظاهره لا فرق بين أن يكون مع المرأة رجال أو لا. وإذا تأملنا قلنا: بل ظاهر الحديث أن هذا فيما إذا كانت المرأة مع الرجال؛ لأنه ورد في رواية بلفظ: «فليسبح الرجال وليُصفق النساء»، فالمسألة مسألة اجتماع رجال ونساء، فوظيفة الرجال التسبيح، ووظيفة النساء التصفيق، والمسألة محتملة، فمن نظر إلى ظاهر العموم قال: تُصفق، ومن نظر إلى ظاهر السياق قال: هذا فيما إذا كان معها رجال؛ أما إذا لم يكن

يقصد به التَّخاطب مع الآدميين، بل قصد به إصلاح الصَّلَاة.

وأجيب عنه بأن هذا خطأ، لأن الناس إنما كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط، وتعتمد الكلام معه عليه السلام لا يضر الصلاة شيئاً، وكلمهم عليه السلام وهو يقدر أن صلاته قد تمت، ولهذا قال: «لم أنس ولم تقصر»، وأن الكلام له مباح، وكذلك تكلم الناس يومئذ بعضهم مع بعض وهم يظنون أن الصلاة قصرت و تمت، وفرق بين شخص يعلم أنه في صلاة، ولكن يتكلم لمصلحة الصَّلَاة، وشخص لم يتيقن أنه في صلاة، بل كان ظنه أنه ليس في صلاة، وأن صلاته تمت، وحينئذ فلا يتم الاستدلال بهذا الحديث. (انظر المحلى لابن حزم، الشرح الممتع على زاد المستقنع ٢٦٦/٣).

ولكن يبقى النَّظَر؛ لو قال قائل: إذا لم نقل بأنه يُنبه بالكلام فسيكون ألعوبة، يُقال: سبحان الله فيجلس، سبحان الله فيقوم، فلا بد من كلام؟ فرئماً يُقال في هذه الحال: إذا دعت الضرورة يتكلم المنبه، ثم يستأنف الصَّلَاة، فنقول: تكلم لمصلحة الصلاة، فإنك إذا تكلمت الآن أصلحت صلاة الجماعة كلها وفسدت صلاتك، واستأنف، فيكون لمصلحة الجميع، ومصلحة الجميع مقدمة على مصلحة الفرد، حتى لو بقيت مع الإمام سوف تبطل صلاتك، أو يؤدي الأمر إلى أن تفارق إمامك. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٢٦٦/٣).

مسألة:

ومن تكلم ساهياً في الصلاة فصلاته تامة، وكذلك إن تكلم جاهلاً لا تبطل صلاته. وبه قال جمهور العلماء منهم ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير و انس وعروة ابن عطاء والحسن البصري والشعبي وقتادة، وجميع المحدثين ومالك والأوزاعي والشافعي وأحمد في رواية وإسحاق وأبو ثور وابن حزم وغيرهم؛ رضي الله عنهم (المجموع ٢٣٩/٤ بتصرف).

واحتج الجمهور بقول الله عز وجل: (ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت

معهما رجال فإنها تُسبَّح كالرجال؛ والتعليل لأن التسبيح ذكر مشروع جنسه في الصلاة، بخلاف التصفيق؛ فإنه فعل غير مشروع جنسه في الصلاة، ولجأت إليه المرأة فيما إذا كانت مع رجال؛ لأن ذلك أصون لها وأبعد عن الفتنة. (الشرح الممتع محمد بن صالح العثيمين ٢٦٤/٣).

مسألة:

لو فرض أن المأموم سبَّح، ولكن الإمام لم ينتبه، وسبَّح ثانية، ولم ينتبه، وربما سبَّح به فقام؛ وسبَّح به فجلس؛ فماذا يصنع؟ نقل الإمام النووي وهو يذكر أقسام الكلام في الصلاة حكم هذه المسألة فقال: «الثاني: أن يتكلم لمصلحة الصلاة بأن يقوم الإمام إلى خامسة فيقول: قد صليت أربعاً أو نحو ذلك، فمذهبنا ومذهب جمهور العلماء أنه تبطل الصلاة. وقال الأوزاعي: لا تبطل، وهي رواية عن مالك وأحمد».

ودليل الجمهور عموم الأحاديث الصحيحة في النهي عن الكلام؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذه الصَّلَاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»، وقلوبه صلى الله عليه وسلم: «من نابه شيء في صلاته فليسبح الرجال وليصفق النساء»، ولو كان الكلام مباحاً لمصلحتها لكان أسهل وأبين، فلما عدل عنه علم أن ذلك ليس بجائز؛ لأن المصلحة تقتضيه لولا أنه ممتنع. (المجموع ٢٣٩/٤).

واحتج القائلون بالجواز بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر فسلم فقال له ذو اليمين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تقصر ولم أنس. فقال: بلى قد نسيت يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أحقاً ما يقول؟ قالوا: نعم، فصلى ركعتين آخرين ثم سجد سجدة، رواه البخاري ومسلم من طرق كثيرة.

ووجه الدلالة: كلام ذي اليمين مع النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لا تبطل؛ لأن هذا كلام لمصلحة الصَّلَاة، وليس كلام آدميين، يعني لم

كالتطهارة للصلاة كانت معدومة فأمر المكلف بإيجادها عند كل صلاة إذا كان محدثاً، فالتطهارة شرطاً لمأمور بإيجاده. الثاني: شروط أمر المكلف بعدم التلبس بها أي باجتنابها والابتعاد عنها، فهذه هي المرادة بقولي: (في باب التروك) يعني أن المكلف أمر بتركها، كإزالة النجاسة هو شرط تركي بمعنى أن المكلف أمر باجتناب النجاسة والابتعاد عنها لا بفعلها.

وان أشكل عليك ذلك فإليك هذين السؤالين اللذين يوضحان الفرق؛ فأقول: إذا أشكل عليك شرط من شروط الصحة هل هو من شروط الإيجاد أو من شروط التروك؟ فاسأل نفسك سؤالين:

هل الله أمرنا بالابتيان بهذا الشرط أي بإيجاده وقد كان معدوماً؟ أم أن الله أمرنا بتركه واجتنابه والابتعاد عنه؟

إذا كان الجواب بالأول: نعم، أي أن الله أمرنا بإيجاده فاعرف أنه من شروط المأمورات.

وإذا كان الجواب بالثاني: نعم، أي أن الله أمرنا بتركه واجتنابه والابتعاد عنه فاعرف أنه من شروط التروك.

وإذا طبقنا هذا على مسألتنا نقول إن الكلام في الصلاة مما أمر المكلف بتركه واجتنابه لا مما أمر بفعله؛ فإذاً هو من شروط التروك، وشروط التروك تسقط بالجهل والنسيان؛ إذا صلاته صحيحة ولا شيء عليه. (انظر تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية بتصرف ٢٨/١).

وللحديث بقية إن شاء الله.

قلوبكم)، وحديث معاوية بن الحكم السلمي قال: (بيننا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)، قال ابن حزم: «هذا الحديث يبطل قول أبي حنيفة؛ لأن فيه أنه كان بعد تحريم الكلام في الصلاة بيقين، ولم يبطل رسول الله

صلى الله عليه وسلم صلاته» (المحلى: ٤/٤).
وَلَمْ يُفَرِّقِ الْحَنَفِيُّ بِبُطْلَانِ الصَّلَاةِ بِالكَلَامِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمُصَلِّي نَاسِيًا أَوْ نَانِمًا أَوْ جَاهِلًا، أَوْ مَخْطِئًا أَوْ مُكْرَهًا، فَتَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِكَلَامِ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا. قَالُوا: وَأَمَّا حَدِيثُ: إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ. فَهَمْزٌ عَلَى رَفْعِ الْأَثَمِ. وَاسْتَتَبْتُ مِنْ ذَلِكَ السَّلَامَ سَاهِيًا لِلتَّحْلِيلِ قَبْلَ إِنْتِمَائِهَا عَلَى ظَنِّ إِكْمَالِهَا فَلَا يَفْسُدُ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ عَمْدًا فَإِنَّهُ مُفْسَدٌ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ١١٧/٢٧ وما بعدها).

والأرجح قول الجمهور لقوة أدلتهم.

فائدة:

مما يتعلق بالمسألة التي مرت قاعدة أن الشروط في باب المأمورات لا تسقط بالجهل والنسيان وفي التروك تسقط بهما. ودليل هذه القاعدة هو الاستقراء لأدلة الشريعة.

وشروط الصحة نوعان:

الأول: شروط كانت معدومة فأمر المكلف بإيجادها، فهذه هي المراد بقولي: (في باب المأمورات) يعني أن المكلف أمر بإيجادها،

عزاء وجب

فارق الدنيا إلى مستقره ومستودعه الحاج أحمد المؤد، بعد معاناة طويلة مع المرض، ندعو الله العليّ القدير أن يبدله داراً خيراً من داره، وأن يكون مرضه كفارة لذنوبه، اللهم اغفر له وارحمه وتجاوز عن سيئاته، وأدخله الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين. وخالص التعازي لصهري المحاسب إسلام المؤد، والأستاذ وليد، والمهندس صلاح، ومحمد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس التحرير

أنه قال: « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ».

ولو كان هذا من الأمور المحبوبة إلى الله عز وجل لشرعه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن كل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم فهو مشروع على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان هذا من الخير لكان أولئك السلف الصالح أسبق إليه منا.

ومع هذا فإننا نقول لهؤلاء الذين يعلقون هذه الآيات ماذا تقصدون من هذا التعليق؟ أتقصدون بذلك احتراماً لكلام الله عز وجل؟ إن قالوا: نعم، قلنا: لسنا والله أشد احتراماً لكلام الله سبحانه وتعالى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يعلقوا شيئاً من آيات الله على جدرانهم وجدران مساجدهم وإن قالوا: نريد بذلك التذكير والموعظة، قلنا: لننظر إلى الواقع فهل أحد من الناس الذين يشاهدون هذه الآيات المعلقة يتعظ بما فيها قد يكون ذلك ولكنه نادر جداً وأكثر ما يلفت النظر في هذه الآيات المكتوبة حسن الخط أو ما يحيط بها من البرايز أو الزخارف أو ما أشبه ذلك.

ونادراً جداً أن يرفع الإنسان رأسه إليها ليقرأها فيتعظ بما فيها. وإن قالوا: نريد التبرك بها فيقال: ليس هذا طريق التبرك والقرآن كله مبارك لكن بتلاوته وتفقه معانيه والعمل به لا بأن يعلق على الجدران ويكون كالمتاحف.

وإن قالوا: أردنا بذلك الحماية والورد قلنا: ليس هذا طريق الحماية والورد فإن الأوراد التي تكون من القرآن إنما تمنع صاحبها إذا قرأها كما في قوله صلى الله عليه وسلم فيمن قرأ آية الكرسي في ليلة: « لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح » ومع هذا فإن بعض المجالس أو كثيراً من المجالس التي تكتب فيها هذه الآيات قد يكون فيها اللهو بل قد يكون فيها الكلام المحرم أو الأغاني المحرمة وفي ذلك من امتهان القرآن المعنوي ما هو ظاهر.

هذه المسألة كثرت في الناس على أوجه متعددة ووضع لفظ الجلالة ويجانبه اسم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز. وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: « ما شاء الله وشئت » فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده ». وإذا كان الهدف من تعليق لوحة عليها اسم النبي صلى الله عليه وسلم من قبيل التبرك فهذا غير جائز أيضاً؛ لأن التبرك إنما يكون بالترام سنة النبي عليه الصلاة والسلام والاهتداء بهديه.

وكذلك بالنسبة لتعليق اللوحات المكتوب عليها آيات من القرآن الكريم في المنازل إذ لم يرد في ذلك عن السلف الصالح- رحمهم

الله- ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا التابعين ولا أدري من أين جاءت هذه البدعة؟ فهي في الحقيقة بدعة؛ لأن القرآن إنما نزل ليتلى لا ليعلق على الجدران.

ثم إن في تعليقه على الجدران مفسدة؛ لأن من يفعلون ذلك قد يعتقدون أنه حرز لهم فيستغنون بذلك عن الحرز الصحيح وهو التلاوة باللسان كما قال النبي عليه الصلاة والسلام عن آية الكرسي: « من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح ».

أيضاً قد لا تخلو المجالس غالباً من الأقوال المحرمة وربما كان فيها شيء من آلات اللهو ولا يجوز أن يجتمع كلام الله في أماكن كهذه لذلك ننصح إخواننا المسلمين بعدم تعليق لوحات تحمل آيات الله أو لفظ الجلالة أو اسم النبي عليه الصلاة والسلام.

قال الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى نور على الدرب فتاوى» ص ٢٤: تعليق الآيات القرآنية على الجدران وأبواب المساجد وما أشبهها هو من الأمور المحدثه التي لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح الذين هم خير القرون كما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام

تعليق اللوحات المكتوب عليها آيات من القرآن في المنازل وغيرها

احذر هذا الكتاب

إلى عورة من ليس بمسلم مثل نَظَرِكَ إلى عورة
الحمارة. يعني يجوز النَظَرُ إلى عورات غير
المسلمين! كما ينظر الإنسان إلى الحمارة.
ومن طعنهم أيضاً في آل بيت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ما رواه عن جعفر الصادق
في تزويج أم كلثوم بنت علي لعمر: عن أبي
عبد الله (عليه السلام) في تزويج
أم كلثوم فقال: (إن ذلك فرج
غصيناه).

وهذا أيضاً من الطرائف
المحزنة المبكية المضحكة في
نفس الوقت..

يقول علي لسلمان

الفارسي رضي الله

عنهما: يا سلمان هل

تدري أول من بايع

أبا بكر على منبر

سول الله صلى الله

عليه وآله وسلم؟

قلت: لا أدري، إلا

إني رأيت في ظلة

بني ساعدة حين

خُصمت الأنصار وكان

أول من بايعه بشير بن سعد

وأبو عبيدة بن الجراح ثم عمر

ثم سالم، قال: لست أسألك عن هذا،

ولكن أتدري أول من بايعه حين صعد

على منبر سول الله صلى الله عليه

وآله وسلم؟ قلت: لا، ولكني رأيت شيخاً

كبيراً متوكئاً على عصاه بين عينيه

سجادة شديدة التشمير صعد إليه أول من

صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي

لم يمتني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان

أبسط يدك، فبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج

من المسجد، فقال علي عليه السلام: هل تدري

من هو؟ قلت: لا، ولقد ساءتني مقالته كأنه

شامت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

يعني أنه إبليس.

كتاب الكافي وأمثاله من الكتب تُرْسَخُ التفرقة،
وتدعو إلى الشوعية، وإلى العنصرية، وتستحل
الدماء والأعراض والأموال باسم آل بيت النبي
صلى الله عليه وآله وسلم.

ومؤلفه هو محمد بن يعقوب الكليني، ولد
في مدينة كلين في إيران، ويقال له الكليني
ويقال له الرازي كذلك ويعرف أيضاً بالسلسلي
البغدادي أبو جعفر الأعور، وكان شيخ الشيعة
في وقته بالري ووجههم كذلك،

وقال عن سبب تأليف كتابه للسائل: وقلت إنك
تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع من
جميع فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلم
ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه

من يريد علم الدين والعمل

به بالأثار الصحيحة عن

الصادقين. فمن أمثلة

الطوام التي فيه.

باب الفضائل وهو باب

عجيب:

وهذا فضل العمامة:

عن أبي عبد الله

(عليه السلام) قال:

(من خرج من منزله مُعْتَمِلاً

تَحْتَ حَنَكِهِ يُرِيدُ سَفْراً لَمْ

يُصِبْهُ فِي سَفَرِهِ سَرَقٌ وَلَا حَرَقٌ وَلَا

مَكْرُوهٌ).

كذلك يروون أنه كان النبي (صلى الله عليه

وآله) إذا أراد تزويج امرأة بعث من ينظر

إليها ويقول: (للمُبْعُوثة شَمِي لِبَتِهَا - يعني

الرقبة. فإن طاب لبيتها طاب عرفها وانظري

كعبها فإن درم كعبها عظم كعبها). أتدرون

ما الكعب؟ الكعب: الفرج، هل من الممكن أن

يصدر هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه

وسلم؟ بل هل يمكن أن يخرج هذا الكلام من

رجل صالح كما في هذه الرواية الخبيثة، والعياذ

بالله.

النظر إلى عورات الآخرين:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (النَّظَرُ

الكافي للكليني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي

بعده، وبعد:

فقد سبق معنا في الأعداد الماضية مناقشة:

١- الأحاديث الواردة في النص.

٢- معنى النص لغة.

٣- معنى النص عند الفقهاء الأربعة.

٤- فقه الأحاديث.

٥- القرائن المستخدمة في البحث.

وقد ذكرنا منها: أولاً: تخصيص النص بالعرف

واللغة. ثانياً: لا يجوز تأخير البيان عن وقت

الحاجة. ثالثاً: القبول والرد للحديث. رابعاً:

الحديث الضعيف لا يؤخذ منه حكم. خامساً: هل

يقاس الحلق والتشقيير على النص. سادساً: هل

تغيير خلق الله على عمومته أم أن له ما خصصه.

ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

سابقاً: عودة الاستثناء:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لُعنت
الواصلة والمستوصلة، والنامصة والمتنمصة،
والواشمة والمستوشمة من غير داء» (صحيح سنن
أبي داود)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
النامصة والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء
(مسند أحمد).

ظاهره أن التحريم المذكور إنما هو فيما إذا كان
لقصص التحسين لا لداء وعلة، فإنه ليس بمحرم
(نيل الأوطار ٢٢٩/٦)، وقد جوز النبي صلى الله
عليه وسلم لعرفجة بن أسعد أن يتخذ أنفاً من
ذهب، رغم تحريم استعمال الذهب على الرجال،
كما في الحديث عن عبد الرحمن بن طرفة: أن
جده عرفجة بن أسعد قطع أنفه يوم الكلاب،
فاتخذ أنفاً من ورق (فضة) فأنق عليه، فأمره
النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ أنفاً من ذهب
(فائدة: يوم الكلاب (بضم الكاف): وادي وقعت
عنده حروب في الجاهلية، وهما يومان: الكلاب
الأول، والكلاب الثاني... وقد اختلف العلماء في
موضع (وادي الكلاب)، وأغلب الظن أنه في حدود
بلاد العراق بين الكوفة والبصرة. (انظر المعالم
الأثرية في السنة والسيرة لمحمد بن محمد حسن
شراب ص٢٣٢).

والسؤال على ماذا يعود الاستثناء في حديث
النبي صلى الله عليه وسلم، هل يعود على أقرب
مذكور وهو الوشم فقط، فيجوز الوشم إن كان

دراسات شرعية

(الحلقة ٩٠)

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق
وأثره على الأحكام الفقهية

النص (٦)

متولي البراجيلي

إعداد:

مُتَبِّلِكُمْ بِهَـٰؤُلَاءِ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَأَنَّكُمْ لَـٰكُمُ الْيَوْمَ بِهَـٰؤُلَاءِ عُرُقٌ ۖ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ» (البقرة: ٢٤٩)،
 فالاستثناء هنا راجع إلى الجملة الأولى، فالمعنى: فمن شرب منه فليس مني إلا من اغترف غرفة بيده فإنه مني، ولو كان الاستثناء راجعاً إلى الجملة الأخيرة، لكان المعنى: ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده، وهذا لا يراد.

فعود - بعد تحرير المسألة - إلى حديث النّص،
فهل الاستثناء فيه يرجع إلى أقرب مذكور وهو
لوشم فقط- على مذهب أبي حنيفة- وبالتالي
يجوز للمرأة أن تصنع وشماً إذا كان لداء وعلة. أم
أن الاستثناء يعود على جميع المذكورات، النّص،
والوصل، والوشم، على مذهب جمهور أهل العلم؟
ف قيل يعود على الواشمة والمستوشمة فقط، فإن
احتاجت إلى الوشم للمداواة جاز وإن بقي منه
أثر، وقيل متعلق بكل ما تقدم، أي لو كان بها علة
فاحتاجت إلى أحدها جاز (انظر مرقاة المفاتيح
٢٨٣٦/٧، وعون المعبود ١١/١٥٢).

وقال الشوكاني: «(إلا من داء) ظاهره أن التحريم
المذكور إنما هو فيما إذا كان القصد التحسين
لا لداء وعلة فإنه ليس بمحرم» (نيل الأوطار
٢٢٩/٦).

مثال ذلك في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُ الْفَحْشَاءَ ثُمَّ يَأْتُوا بِآرَائِهِمْ شَهَادَةً فَأُولَئِكَ تَبَرُّهُمْ وَالْغَيْرُ يُعَذِّبُهُمْ» (النور: ٤)، ثم قال الله تعالى: «وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (النور: ٥). فهل يعود الاستثناء على أقرب مذكور وهي (أولئك هم الفاسقون)، وبالتالي فإنه عند أبي حنيفة ومن وافقه لا تقبل شهادة القاذف إن تاب؛ لأن الاستثناء يعود على وصف الفسق فقط، فإن تابوا فلا يحكم عليهم بالفسق، لكن لا تقبل شهادتهم، أم تعود على جميع المذكورات في الآية، فإن تاب قبلت شهادته وعادت إليه عدالته إلا ما خصه الإجماع وهو أن التوبة لا تسقط عنه الحد (انظر الفروق للرافعي ١١٠/٤).

مثال لعودة الاستثناء إلى جميع الجمل المتعاطفة
 قوله تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٧٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْلَكًا ﴿٧٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»
 (الفرقان: ٦٨ - ٧٠)؛ فإن الاستثناء في الآية يعود
 إلى جميع المذكورات في الآية. وليس الأخير فقط.
 مثال لعودة الاستثناء إلى الجملة الأولى: قوله
 تعالى: «ثُمَّ فَكَّرَ مُطَافُوتٌ بِالْحُجُودِ قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ

وقال الحافظ ابن حجر: «ويستفاد منه (أي: من الحديث) أن من صنعت الوشم عن غير قصد له، بل تداوت مثلاً فنشأ عنه الوشم أن لا تدخل في الزجر» (فتح الباري ١٠/٣٧٦).

والوشم: غرز الكف أو المعصم أو ما شئت من جسدتها بالإبرة، ثم تحشى بالكحل أو نحوه، وكانت المرأة العربية تتزين به ومن أمثال العرب: لهو أخيل في نفسه من الواشمة؛ انظر لسان العرب ١٢/٦٣٨).

كنت سأرجح أن الاستثناء هنا يعود على جميع المذكورات في الحديث، من النَّمص والوصل والوشم لولا هذه الرواية للحديث في سنن النسائي بسنده عن الحارث قال: لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل الربا وموكله وشاهده وكتابه والواشمة والمستوشمة، قال: إلا من داء، فقال: نعم... (صحيح سنن النسائي) فيضم هذا الحديث للأحاديث السابقة - كقريئة - ترجح أن القيد المذكور في حديثي ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، يعود على الوشم، وهو آخر مذكور في الحديث، وذلك بدلالة أن الوشم ذكر في هذا الحديث بمفرده وليس مقروناً بالنَّمص والوصل.

وإن كنت رجحت عودة القيد (إلا من داء) على الوشم فقط، فالمسألة خلافية.

ويثار سؤال إذا قلنا: إن الراجح أن القيد المذكور في الحديث يعود على الوشم فقط، وجواز ذلك عند وجود داء وعلّة، فهل يقاس عليه الوصل والنَّمص، أم لا يقاس عليه؟ أما وصل الشعر فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى امرأة من الأنصار زوجت ابنة لها فاشتكت فتساقط شعرها، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تستأذن في أن تصل لها شعرها، فلم يأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم (والحديث متفق عليه)؛ فهذه الابنة - وهي حديثة عهد بزواج- كانت عندها علة وهي تساقط بعض شعر رأسها، ومع ذلك فلم يأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تصل في شعر رأسها؛ لأن هذا من باب زيادة التجميل، لكن ماذا لو تساقط شعر رأس المرأة بالكلية حتى صارت صلعاء بلا شعر، فهل تدخل أيضاً في النهي عن الوصل، أم أن هذا أمر مختلف، صار طلبه ليس بحثاً عن زيادة جمال إنما لإزالة عيب ومرض ينظر منها زوجها والضرر يزال.

ففارق بين إزالة عيب متفرومين زيادة تجميل. وعلى هذا فإنه في هذه الحالة وأمثالها نقيس على القيد

الوارد في الحديث - ورجحنا أنه يعود على الوشم - إلا من داء).

ومن باب إزالة العيب المنفر أيضاً جاز للمرأة أن تزيل الشعر الثابت في وجهها سواء في الخدين وغيرها، لأنه ليس من المعتاد أن ينبت شعر للمرأة في خديها أو شاربها فهنا لا بأس بإزالته لأنه مشوه للمرأة وخلاف المعتاد، لكن الحاجبين لا ينسحب عليها ذات الحكم فإنه من المعتاد أن تكون إما رقيقة دقيقة أو تكون كثيفة، وهذا لا يعد عيباً، بل يعدون المرأة التي لا حواجب لها أو حواجبها دقيقة جداً، أن هذا ليس من الجمال، ولو تصورنا أن هناك حاجبين منفرين فاحشين فهنا جاز للمرأة بالقص ونحوه أن تزيل العيب المنفر فقط بالقص أو بالحلق - لجواز بعض أهل العلم ذلك لأنه لا يدخل في النَّمص، لكن هذا الباب لا يفتح على مصراعيه أمام النساء، ولا تفتي المرأة نفسها فيه، ولا فستري كل امرأة تدعي بأن بها عيباً منفراً في حاجبيها يستدعي الأخذ منهما، وإنما جاز ذلك وفقاً لقاعدة فقهية مهمة، وهي أن «الضرورات تبيح المحظورات»، مع ملاحظة أن جواز الأخذ من الحاجبين عند فحشهما مقيد بإزالة العيب المنفر فقط، وليس رسماً للحاجبين وتغييراً لشكلهما الذي خلقهما الله تعالى، كما هو عادة غالب النساء الآن - إلا من رحم الله - والا صار ذلك طلباً للحسن والجمال، وتدخل المرأة في اللعن المذكور في حديث النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرات خلق الله تعالى.

ثامناً: الشعر ما بين الحاجبين؛

والشعر بين الحاجبين هو ما يقابل أصل الأنف؛ فهل يدخل الشعر الثابت ما بين الحاجبين في حكم الحاجبين، وبالتالي لا يجوز أخذه إلا بالضوابط التي بينها بأن يكون كثيراً جداً مشوهاً للخلقة، أم أنه يدخل في عموم شعر الوجه فيجوز إزالته؟ وهذه المسألة خلافية، فمن العلماء من ألحقهما بالحاجبين، ومنهم من لم يلحقهما بالحاجبين، ممن اعتبره أنه ليس من الحاجبين قال: إنه مسكوت عنه في الشرع، وبالتالي فلا حرج على المرأة في إزالته، خاصة إذا كان فيه تشويه للخلقة، وممن ذهب إلى ذلك اللجنة الدائمة للإفتاء فقالت بجواز تنف الشعر الذي بين الحاجبين؛ لأنه ليس من الحاجبين. (فتاوى اللجنة الدائمة ٥/٢١٢)، وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

المسلم بين إرادة التغيير وإدارته

الإبداع طريقك نحو قيادة المستقبل

(الحلقة الخامسة)



د. ياسر علي عبد المنعم / إعداد

أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام
على سيدنا رسول الله، وصلى الله عليه
وسلم.

ذكرنا في المقال الأول، أننا بحاجة
للتغيير والتطوير والتنمية، نعم
نحن بحاجة لتغيير العادات، وتطوير
الآليات، وتنمية المهارات، فكانت أولى
التوصيات أن نضع مقياساً ومعياراً
لأفعالنا وأقوالنا؛ لكي نحدد الدرجة
التي نحن عليها، ومدى قبولنا عند
الناس، ومدى تأثيرنا فيهم، والوجهة
التي نريدها؛ فما يمكن قياسه يمكن
تقييمه وتقويمه.

وفي المقال الثاني، وضحنا ضرورة
العمل على تقوية الثقة بالله، وحسن
التوكل عليه. وذكرنا لذلك بعض طرق
استنهاض الثقة بالنفس والعمل على
تقويتها.

وفي المقال الثالث، كتبت لك بعض
الشعارات التي قد تساعدك على
اكتساب الثقة بالنفس، وكيفية
استنهاضها وتقويتها، وقد وعدتك بأننا
سوف نتحدث عن التفكير ومهاراته،
مع ضرورة اعتقاد أن التفكير السديد
المنتج مهارة يُكسبها التعليم والتعلم،
وعادة يصنعها التمرين والتدرب،
والإيمان بخبر القرآن في هذه المعادلة:
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يُقَوْمُ حَتَّى يَفْعِلُوا مَا يَنْفُسُهُمْ»
(سورة الرعد: ١١).

وفي المقال الرابع، كتبت لك عن التفكير،
وأهميته، وبواعثه، وكيف أن التفكير
يُعد فريضة واجبة. ونصحتك بقراءة
كتاب عباس العقاد: «التفكير فريضة
إسلامية». كما وضحت لك أنه عبادة
ورأينا كيف أن الوحي حث على ضرورة
التفكير. مثلاً في قوله تعالى: «فَأَقْصِصْ
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (سورة الأعراف: ١٧٦).

مفيدة، فقد يترقب على الإبداع في مجال ما دمار وضرر؛ وهذا لا يسمى إبداعاً بل هو تخريب! فمثلاً لو قلنا: إن موظفاً ما ابتكر طريقة جديدة لتخفيض التكاليف، أو لتعزيز الإنتاج لمنتج جديد، فإننا نعد هذه الفكرة من الإبداع.

من هو المبدع؟

يظن بعض الناس أن الإنسان المبدع وُلد هكذا مُبدعاً، هذا مفهوم غير صحيح! وباختصار أقول: إن كل شخص يستطيع أن يبدع ويبتكر إلا من يأبى! واليك هذه القصة للتوضيح:

كان أحد رجال الأعمال يقف في طابور طويل في أحد المطارات، لاحظ الرجل أن أغلفة تذكار السفر بيضاء خالية، ففكر في طباعة إعلانات على هذه المغلفات، وتوزيع هذه الأغلفة مجاناً على شركات الطيران، وافقت شركات الطيران على هذا العرض، وتعاون رجل الأعمال مع مدير إحدى المطابع وتم هذا المشروع، وكانت النتيجة أن حققت فكرته أرباحاً قُدرت بملايين الدولارات! الفكرة بسيطة وصغيرة، لكنها إبداعية جديدة، لقد شاهد كثيرون ما رآه رجل الأعمال هذا، إلا أن أحداً لم يفكر كيف يفيد من هذا الأمر كما فكر هو، وصار لهذا الرجل زبائن من الشركات الكبرى في الولايات المتحدة.

وحري بنا أن نذكر بعض المفاهيم حول الإبداع، وذلك من خلال كتاب: «مبادئ الإبداع» للدكتور طارق السويدان (بتصرف).

لم تبحث عن الإبداع وما هي دوافعه؟

يمكننا إجمال دوافع الإبداع فيما يأتي:

- ١- دوافع ذاتية داخلية: مثل الحماس.
- ٢- دوافع مادية ومعنوية: مثل المكافآت.
- ٣- دوافع بيئية خارجية: مثل التصدي للمشكلات.
- ٤- دوافع خاصة بالعمل: مثل الرغبة الشديدة في التوصل إلى فكرة مبدعة والحصول عليها.

وهذا الإبداع له خصائص منها:

- ١- القدرة على اكتشاف علاقات جديدة.
- ٢- القدرة على استنتاج تلك العلاقات والإفصاح عنها.

وذكرت لك بعض المهارات التي تعينك على التفكير. وفي تمام المقالة وعدتك أن نلتقي في مقالة جديدة عن الإبداع والتطوير كترج طبيعى للتفكير ومهاراته، وفريضة لازمة لشخصية إسلامية متطورة متواكبة نافعة مرشدة موجهة.

ابتداءً الإسلام منذ اليوم الأول أطلق العنان لكل مبدع أن يشد همته، ويقده زناد فكره، ويعود بما يمتع وينفع الإنسانية كلها، دونما حَجَرٍ في هذا المجال، طالما أن الأمر لا يمس العقيدة، أو يكون على حساب مصلحة عامة.

لذا.. نجد النصوص من الكتاب والسنة تتضافر كلها لإرساء مبدأ (حرية الإبداع): لأن الإسلام ينظر إلى الأمر على أنه جزء من كل، أو حلقة في منظومة إسلامية عامة وشاملة تفضي بعضها إلى بعض لتحقيق في النهاية الغاية من وجود الإنسان في الأرض. قال تعالى فاتحاً أبوابه للمعرفة، وداعماً للمبدعين في قوله تعالى: «وَيَخْلُقْ مَا يَشَاءُ مَا لَمْ يَسْأَلْهُ» (سورة النحل: ٨). وقوله صلى الله عليه وسلم لحسان شاعر الإسلام مؤيداً وداعماً له: «اللهم أيد به روح القدس» (صحيح البخاري، حديث رقم (٢٩٩٢))، كما دعم النبي صلى الله عليه وسلم المبدعين: (أقروكم أبي، وأفرضكم زيد، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقضاكم علي)، والأمثلة كثيرة في ديننا.

ما الإبداع وماذا نقصد به؟

في الحقيقة هناك تعريفات كثيرة منها: «الإبداع هو: العملية التي تؤدي إلى ابتكار أفكار جديدة، تكون مفيدة ومقبولة اجتماعياً عند التنفيذ». وعرفه بطريقة شاملة الدكتور علي الحمادي فقال: «الإبداع هو مزيج من الخيال العلمي المرن؛ لتطوير فكرة قديمة، أو لإيجاد فكرة جديدة، ومهما تكن الفكرة صغيرة فقد ينتج عنها إنتاج متميز غير مألوف، يمكن تطبيقه واستعماله».

نخلص إلى أن: الإبداع هو إنتاج أفكار جديدة خارجة عن المألوف، شريطة أن تكون أفكاراً

محفزات الإبداع:

إن عوامل استثارة الإبداع متعددة ومتنوعة، كما يقول الأستاذ المبدع زهير المزيدي في كتاب: «مقدمة في منهج الإبداع، ١٩٩٣م»: فنجد أن هذه العوامل كائنة- أولاً- في الاستعانة بالله تعالى، ومدى قوة وصفاء الاتصال به سبحانه، ثم يلي ذلك عوامل عديدة هي: الملاحظة الدقيقة، وكثرة الاطلاع، ودرجة التقدير لعامل الوقت، ودرجة التمرس في طرق النقاش المنهجي، ودرجة خصوبة الخيال، ودرجة تنوع النماذج.

كما أن المكافآت، سواء المعنوية أو المادية منها، لها أثر كبير في استثارة الإبداع لدى الناس، وخير مثال على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يكافئ صحابته، فكان يقول لعلي رضي الله عنه: «امض ولا تلتفت». كما ثبت أنه عناء بقوله صلى الله عليه وسلم: «سأعطي الراية غداً لرجل يحبه الله ورسوله»، (صحيح البخاري).

ويتبدى اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم منهج التحفيز والتعزيز والإثابة في مواقف أخرى منها: عندما لقب خالد بن الوليد بسيف الله المسلول، وأبا بكر بالصديق، وعثمان بذي النورين، وفي تبشيره بعض الصحابة بالجنة، وفي قوله لشاعر الإسلام: «اللهم أيده بروح القدس» (صحيح البخاري، حديث رقم (٢٩٩٢)).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة حاثاً له على المبادرة في طلب الجديد من أبواب الخير الكثيرة، وعدم الانشغال بباب واحد فقط منها: «سبقك بها عكاشة». (صحيح مسلم حديث رقم (٣٢٨)).

كما نراه صلى الله عليه وسلم قد حفز جرير بن عبد الله البجلي بالدعاء له بالهداية والثبات، حيث قال له: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» (صحيح البخاري، حديث رقم (٢٨١٤))، وقد قال صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام: «لكل نبي حوارٍ، وحواري الزبير» (صحيح البخاري رقم (٣٨٣١)). وهكذا، هذا، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم-، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣- الربط بين العلاقات الجديدة وبين العلاقات القديمة التي سبق لغيرك اكتشافها.

٤- توضيح العلاقات الجديدة لتحقيق أهداف معينة.

٥- الإحجام عن الأخذ عن الآخرين إلا بالقدر الذي يخدم ويحقق الإبداع لديه. اهـ.

كيف تولد الأفكار الجديدة؟

إن الأفكار تولد في لحظة خاطفة، وقد تتلاشى من مخيلتك إلى الأبد ما لم تسارع بتدوينها. وقد تظهر الأفكار المثمرة في أغرب الأوقات، ولن تبرز هذه الأفكار دائماً وأنت تعالج المشكلة المتعلقة بها، ولكن قد تواتيك ومضة من الاستبصار في الوقت الذي تكون فيه مشغولاً بأعمال أخرى، أو مشتركاً في محادثة، أو منصتاً إلى محاضرة، أو قائماً بالتدريس، أو عاكفاً على قراءة كتاب، أو مسترخياً بالمنزل.

واعلم أنه حتى لو بدت هذه الفكرة لحظة ورودها واضحة تماماً، أو مهمة للغاية بحيث يستحيل نسيانها، فهناك دائماً احتمال أن تضيع منك فيما بعد؛ لذلك حينما تنبث في عقلك نواة لفكرة احفظها مباشرة كتابة؛ للاستفادة منها في المستقبل، فالاحتفاظ بمذكرات منظمة إبان البحث يفيد البحث كثيراً.

وكما قال الشاعر:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيْدُه

قيْدُ صيودك بالحبالِ الوائقةُ

فَمَنْ الحماقةُ أَنْ تصيدَ غزاةً

وتدعها بينَ الخلّاقِ طالقةُ

وها هي نصائح لك للحصول على الأفكار:

- احرص على الساعات الأولى من النهار.

- ابدأ اجتماعاتك مبكراً.

- اقض على المقاطعات التي تترك التفكير.

- رتب معلوماتك.

- تحمس لعملك.

- اعمل في المكان المناسب.

- أوجد الحافز.

- احذر التخمّة.

- التزم بطاعة الله تعالى ينشرح صدرك.

واحدة النوحيد

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

إكرام ما يكرمه الله

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» (سنن أبي داود وحسنه الألباني).

من نور كتاب الله

بُشِّرَى لِلخَاضِعِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ

قَالَ تَعَالَى: «فَالَّذِينَ هُمْ
إِلَهُهُ وَجِدُوا فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ
الْمُتَّقِينَ» (٢١) الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
بِاللهِ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ
عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِينَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»
(الحج ٣٤، ٣٥).

من أقوال السلف

عن علي بن الحسن رضي الله عنه قال: قلت لأبي المبارك: كيف تعرف ربنا عز وجل؟ قال: في السماء على العرش، ولا نقول كما قالت الجهمية: هو معنا هاهنا. (تاريخ الإسلام للذهبي).

من دلائل النبوة

شفاء من أصابه صرع

عن يعلى بن مرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتته امرأة فقالت: إن ابني هذا به صرع (أي: صرع) منذ سبع سنين، يأخذه كل يوم مرتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أذنيه»، فأدنته منه، فتفل في فيه، وقال: أخرج عدو الله! أنا رسول الله. (رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني)

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي وابنه جعفرًا عن أبي بكر وعمر فقالا: يا سالم أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي، فلا نالتني شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبراً من عدوهما (تاريخ الإسلام للذهبي).

حكم ومواعظ

عن ابن حبان قال: لا يستحق أحد اسم الرئاسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء: العقل والعلم، والمنطق، ثم يتعرى عن ستة أشياء: عن الحدة، والعجلة، والحسد، والهوى، والكذب، وترك المشورة. (روضة العقلاء).

من غريب الحديث

(وعشاء) في قوله صلى الله عليه وسلم "اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر" أي: شدته ومشقته. وأصله من الوعث، وهو الرمل، والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق. يقال: رمل أوعث، ورملة وعشاء. (النهاية لابن الأثير).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه» (رواه مسلم).

خلق حسن فالزمه

عن سهل قال: "من أخلاق الصديقين أن لا يحلفوك بالله، ولا يفتابون، ولا يفتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا". (تاريخ الإسلام للذهبي).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"كنت كنزاً لا أعرف، فأحببت أن أعرف؛ فخلقت خلقاً فعرفتهم بي، فعرفوني". قال الألباني: لا أصل له اتفاقاً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف له إسناده صحيح، ولا ضعيف". (السلسلة الضعيفة للألباني).

خلق سيئ فاحذر منه

ذم الفضول وسوء الظن والاشتغال بما لا يعني
عن سهل: "من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، ومن اشتغل بالفضول حرم الورع، ومن ظن السوء حرم اليقين، فإذا حرم من هذه الثلاثة هلك". (تاريخ الإسلام للذهبي).

من حكمة الشعر

قال ابن عبد ربه في مكارم الأخلاق:

إن الحياة مزارع... هازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقو سوى... آثارهم والعين تفقد
أو ما سمعت بمن مضى... هذا يذم وذالك يحمد
(العقد الفريد)

ظاهرة المخدرات .. فهل أنتم منتهون؟!

الحلقة الثانية

الحمد لله، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ، (غافر: ٣)، وأصلي وأسلم على نبي الرحمة الداعي لكل خير، الناهي عن كل شر، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد تحدثنا في العدد الماضي عن آفة تندر بفناء المجتمعات، هي أم الخبائث ورأس الشرور، وكبيرة من كبائر الذنوب، متعاطيها معرض نفسه لوعيد الله، ولعنته وغضبه، ألا وهي المخدرات، ووعدنا أنه بحول الله وقوته نتحدث في هذا العدد عن كيفية الخلاص من هذا الوباء. فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عبدہ احمد الأقرع

عدد ١٨٠

عليه وسلم: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». (مسلم: ٢٦٧٥).

ثانياً: أن تتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». (صحيح الجامع: ٧٢٩٩).

فتذكر أخي قول الله تعالى: «يَوْمَ يُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ» (الحاقة: ١٨). وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار بشق تمره». (متفق عليه).

فتمثل نفسك- أخي- وأنت واقف بين يدي الله تعالى وقد سألك عن مالك، من أين اكتسبته وفيم أنفقته، ماذا أنت قائل لربك وقد أنفقته في الحرام؟ وتمثل نفسك وأنت مائل بين يدي الله سبحانه وقد سألك عن جسمك فيم أبليت؟ وقد ثبت ضرر تعاطي المخدرات

أولاً: قد عرفت أخي أن كل مسكر حرام، وقد سقت لك الأدلة من الكتاب والسنة فالواجب عليك أن تستجيب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: «اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ قِيلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَكٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ» (الشورى: ٤٧)، وشهد سبحانه للذين استجابوا بالإيمان ووعدهم بالزيادة من فضله، قال الله تعالى: «وَسَيَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَزَيَّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» (الشورى: ٢٦)، وقال تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ كَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» (النساء: ١٣-١٤)، فليكن شعارك: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» (البقرة: ٢٨٥)، ورد قول الله سبحانه على سمعك: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» (المائدة: ٩١)، فتسارع وتقول: انتهينا، انتهينا.

وهذه أول بشارة تدل عن صدق التوبة فقد قال الله تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» (النساء: ١٧)، هذا وإن لمحبة الله لعبده آثاراً يغبط عليها المحبون، منها: أن يلقي الله محبة حبيبه في قلوب عباده، قال الله تعالى لكليمه موسى عليه السلام: «وَأَقْبَتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلَضَمُّهُ عَلَى عِقَبٍ» (طه: ٣٩)، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رُحْمًا وَأَيًّا» (مريم: ٩٦)، أي: محبة في قلوب العباد، ومنها: فرح الله بتوبتك، قال صلى الله

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي» (صحيح الجامع: ٧٣٤١).

لا تصاحب إلا من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرك، فيتعين على طالب التغيير- وهو في بداية الطريق- أن يقطع علاقاته بأهل الفساد والغواية، لأنه إن استمر معهم لم يكن صادقاً في توجهه نحو التغيير، وحتى إن لم يشاركهم في منكرهم شاركهم في الإثم بالجلوس معهم. قال الله تعالى: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ» (النساء: ١٤٠)، وأيضا الاستمرار في مخالطة أهل الشر والفساد يؤدي إلى الانتكاس والعودة إلى الماضي السيئ، وكم من شاب انتكس بسبب حنينه إلى صحبته القديمة.

رابعاً: سؤال الله الهداية: قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم». (مسلم: ١٨٢٨).

والمعنى: «فاستهدوني» اطلبوا مني الهداية، وذلك شامل للهديتين التوفيق والدلالة، وهداية الدلالة تكون باتباع الوسائل التي جعلها الله عز وجل سبباً للعلم، وقوله: «أهدكم» يعني: أوصلكم وأدلكم على طريق الفلاح.

خامساً: ان تسأل الله الثبات: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». (صحيح الجامع: ٧٩٨٧). وتصابر وتصابر فإن عملية التغيير ليست بالأمر اليسير، فإنها ميلاد جديد وحياة بعد موت وسعادة بعد تعاسة وعز بعد ذل، عز الطاعة بعد ذل المعصية، وفرح بعد ترح، «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فِئْزَكَ قَلْبُكُمْ حُورٌ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمِلُونَ» (يونس: ٥٨).

وأخيراً: وإني أناشد كل مسئول أن يتحمل مسئوليته تجاه دينه ومجتمعه وبلاده، وأن يكون عيناً ساهرة على جلب المصالح المجتمعة، ودفع المفسد عن بلاده، وذلك بالقضاء على هذا الوباء العضال، كما أن على وسائل الإعلام- مرئيتها ومسموعها ومقرؤها النصيب الأكبر من تبصير الأجيال بخطورة المخدرة كما سبق وحسبهم قوله صلى الله عليه وسلم: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حُمْر النعم». (متفق عليه).

والله الهادي الى سواء السبيل.

دراسات قرآنية



الأمثال في القرآن

مثل الذين كفروا بربهم

الحمد لله، والصلاة والسلام
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل
آخر من الأمثال في القرآن وهو في
قوله تعالى: «**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ
الرَّيْحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ
الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**» (إبراهيم: ١٨).

مصطفى البصراي

إعداد

المعنى الإجمالي:

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا مثل ضربيه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح، فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها، فقال تعالى: «**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ**» (إبراهيم: ١٨) أي: مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء، فلم يجدوا شيئاً، ولا ألقوا حصلاً إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة (في يوم عاصف) أي: ذي ريح شديدة عاصفة قوية فلم يقدرُوا على شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا إلا كما يقدرُون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم، كقوله تعالى: «**وَقِيمًا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْهَةً مَنُورًا**» (الفرقان: ٢٣)، وقوله تعالى: «**مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ مَرْجَاقَ قومٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَنَّهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**» (آل عمران: ١١٧)، وقوله تعالى في هذه الآية: «**ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**» (إبراهيم: ١٨)، أي: سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه، «**ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**» (إبراهيم: ١٨). (صحيح تفسير ابن كثير ٥٢٦/٢).

معاني المفردات:

«مثل»: المثل: الحالة العجيبة، أي: حال الذين كفروا العجيبة أن أعمالهم كرماد.. إلخ.
«أعمالهم»: الصالحة كالصدقة، وصلة الأرحام وفك الأسير، وإقراء الضيف وبر الوالدين، ونحو ذلك أو عبادتهم الأصنام في عدم الانتفاع بها، أو الأعمال التي أشركوا فيها غير الله تعالى.
«كرماد»: والرماد ما يبقى من احتراق الحطب والفحم، وجمعه في الكثرة على رُمْد، وفي القلة على أرْمَد.

«اشتدت به الريح»: حملته بشدة وسرعة فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيئاً.

«في يوم عاصف»: العصف شدة الريح وصف به زمانها مبالغة؛ كما يقال يوم حار ويوم بارد، والبرد والحر فيهما لا منهما، ووجه الشبه أن الريح العاصفة تطير الرماد وتفرق أجزائه بحيث لا يبقى له أثر، فكذلك كفرهم أبطل أعمالهم

وأحبطها بحيث لا يبقى لها أثر.

وجملة: «لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء» بيان لجملة التشبيه أي ذهبت أعمالهم سدى فلا يقدرُونَ أن ينتفعوا بشيء منها.

وجملة: «ذلك هو الضلال البعيد» تذييل جامع لخلاصة حالهم، وهي أنها ضلال بعيد، ومعنى «ذلك» أي: ما دل عليه التمثيل من هذا البطلان لأعمالهم وذهاب أثرها، والمراد بالبعيد البالغ نهاية ما تنتهي إليه ماهيته، أي بعيد في مسافات الضلال فهو كقولك: أقصى الضلال. (المعاني مستفادة من فتح البيان لصديق خان، والتحرير والتنوير لابن عاشور بتصرف).

التفسير التفصيلي:

قال جل شأنه: «فَن كَانَ رِجْوَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ فَلَيَمْلَأَنَّ عَمَلًا سَلِيلًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠).

أما من كفر بالله وأعرض عن ذكره، فإنه يأخذ ثواب عمله في دنياه وليس له في الآخرة من نصيب. وقد ضرب الله هذا المثل يبين فيه حال الذين كفروا يوم القيامة، ويكشف عن خيبة آمالهم وبطلان أعمالهم وسوء مآلهم.

فجعل مثلاً لأعمالهم كرماد حملته الرياح بشدة في يوم عاصف، أي: ذي ريح عاصفة قوية لا تبقى ولا تذر.

فإذا كانوا يقدرُونَ على كل شيء مما كسبوه في حياتهم الدنيا، فإنما يكون حالهم كحال من جمع رماً في أرض فضاء فهبت عليه الرياح العاصفة من كل صوب وحذب، فطيرته في الجو هباء لا تراه عين، ولا تستنشقه الأنوف. (كتاب الأمثال القرآنية ص ١٤٤، لمحمد بكر إسماعيل، بتصرف).

فوائد الآية:

الأولى: دخلت أداة التشبيه على الذين كفروا بينما نجد الأعمال هي المشبهة، ليشمل التشبيه الأعمال وأصحابها.

والمعنى: صفة الذين كفروا في انتظار الجزاء على أعمالهم ورجاء الحصول عليها، ليسعدوا بها، فإذا هم يرون أنفسهم مفلسين عاجزين عن تحصيل ذرة من أعمالهم، وعن تحقيق أي شيء من آمالهم - كرماد... إلخ.

فلفظ «مثل» - كما قال سيبويه - مبتدأ خبره مضمّر تقديره: فيما يتلى عليكم أو يقص عليكم

«مثل الذين كفروا بربهم»، ثم ابتدأ فقال: «أعمالهم كرماد»، وقال الزجاج: أي: مثل الذين كفروا فيما يتلى عليكم أعمالهم كرماد.

الثانية: شبه الحق سبحانه وتعالى أعمالهم بالرماد لخفته وخسته وعدم نفعه غالباً، ولما فيه من إيحاء بالنار التي يتخلف عنها فهو لفظ يشعر بتساؤم الكفار من سوء المنتظر.

الثالثة: قوله تعالى: «أَشَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ» (إبراهيم: ١٨) معناه - كما في لسان العرب - أسرعت وعدت، فإذا كانت الرياح عاصفة والرماد خفيفاً، فماذا يبقى منه بعد اشتدادها به؟

الرابعة: في وصف اليوم بالعاصف مبالغة في الشدة والسرعة، وهذا كقوله تعالى: «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ» (الذاريات: ٥)؛ حيث أسند الصدق لما يوعدون به، والمعنى: لذو صدق، وهكذا يقال في قوله جل شأنه: «في يوم عاصف» أي: ذي ريح عاصفة أو ذوي عاصفة، بمعنى: أن العصف يقع فيه.

الخامسة: في قوله تعالى: «لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ» (إبراهيم: ١٨)، ففي هذه الفقرة من الآية إبراز لما ينطوي عليه المثل، فالمثل يضرب ثم يطوى ليكشف عن المراد من ضربه لتتضح المعاني أكمل اتضاح.

فالمثل يفيد أن أعمال الكفار باطلة كلها، ليس لهم عليها ثواب، فمهما اعتذروا فلن يُقبل عذرهم، فهم إلى النار وبئس القرار، وما كسبوه في الدنيا من عمل لا يقدرُونَ على تحصيل شيء من ثوابه البتة، ولفظ الكسب يدل على العمل النافع الذي عملوه في الدنيا - وقد نفّعهم في الدنيا - فهي دار جزائهم، ولكن لا ينفعهم في الآخرة، لفقدان شرط صحته وهو الإيمان.

السادسة: في قوله تعالى: «ذَلِكَ هُوَ السَّكَلُ الْبَعِيدُ» (إبراهيم: ١٨)، تأكيد لمضمون الآية كما هو الشأن في خواتيم الآيات، فأي ضلال أبعد عن التعقل وأوغل في السفه من الكفر بالله عز وجل وتوجه القلوب إلى غيره في العبادة والدعاء؟

السابعة: هذا المثل بمثابة حث للمؤمنين على الإنفاق، وتحذيرهم من أن يُتبِعُوا ما أنفقوا شيئاً مما يبطل أجره وثوابه، وأن ما ينفقونه إنما هو دخر لهم، ينتفعون به غاية النفع، أحوج ما يكون إليه.

أخطاء الآباء في تربية الأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على

رسول الله، وبعد:

نتابع في هذا العدد الحديث عن

أخطاء الآباء والأمهات والعلمين

والمربين في تربية الصغار، فنقول:

جمال عبد الرحمن

اعداد

رابعا: عدم العدل بين الأولاد:

يتعامل الآباء أحيانا مع أولادهم بدون عدل فيفضلون طفلاً على طفل، لذكائه أو جماله أو حسن خلقه الفطري، أو لأنه ذكر، مما يزرع في نفس الطفل الإحساس بالغيرة تجاه إخوته، ويعبر عن هذه الغيرة بالسلوك الخاطئ والعدوانية تجاه الأخ المدلل بهدف الانتقام من الآباء، وهذا الأمر حذرنا منه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: عليه الصلاة والسلام « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ».

- قال تعالى: « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (النحل: ٩٠).

- وقال تعالى: « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَهْدِ اللَّهُ أَوْفَوْا ذَلِكَمْ وَصَنَّتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (الأنعام: ١٥٢).

وأما الأدلة على العدل من السنة المطهرة فالإيكم طرفاً منها:

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » (أخرجه مسلم واللفظ له والنسائي).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى وصية حاف في وصيته فيختم له بشر عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله، فيدخل الجنة » قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (النساء: ١٣-١٤) (أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب).

٣- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن أمه عمرة بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لايتها فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وهبت لابني، فأخذ أبي بيدي، وأنا غلام

العظيم الخطورة، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة » (متفق عليه).

ومن لم يعدل بين أولاده أو يساوي بينهم بالمعروف وبالحق والقسطاس المستقيم، فقد تكب عن جادة الصواب، وغالط نفسه، ولم يأبه بالأدلة، فهو غاشٍ لأولاده، وظالم في عدم التسوية بينهم. فهو مستحق للعقوبة والعياذ بالله.

لا بد من التسوية والعدل في العطية بين الرجال والنساء؛ للذكر مثل حظ الأنثيين كالإرث، ولا يوصي لهم أيضاً.

لا بد أن يكونوا سواء في العطية، لا يخص أحداً دون أحد، ولو كان بعضهم أزهى أو فقيراً، فإنه يجزيه حقه الذي كتبه الله له من الإرث، لكن النفقة لا بأس إذا كان عنده عيال صغار ينفق عليهم، وكبار-مغنيهم الله من فضله- لا ينفق عليهم، النفقة واجبة عليه على الصغار الفقراء، أو على غيرهم من الفقراء، إذا كان أولاده بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، يجب أن ينفق على الفقراء حتى يغنيهم الله، ولا في هذا تعديل؛ لأن هؤلاء نفقتهم واجبة لفقيرهم.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: المجموعة الأولى-٢٢٥/١٦. السؤال الخامس من الفتوى رقم: ٢٠٣٢١. س: ٥: لي ولدان: أحدهما بار بي وبوالدته والآخر عاق لي وبوالدته، وأريد أن أهب جميع ما أملكه من عقار وأطيان لابني البار، مع حرمانني لأخيه العاق، فما حكم الدين في ذلك؟

ج: ٥: لا يجوز للوالدين التفضيل في العطية بين أولادهما، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: اتقوا الله واعدوا بين أولادكم. ولأن ذلك يسبب الحسد والحقد والبغضاء والشحناء والقطيعة بين الإخوة، وكل ذلك يتنافى مع مقاصد الشريعة المطهرة التي جاءت بالحث على التآلف والترابط والتواد، والتعاطف بين الأقارب والأرحام، والواجب على الوالدين استصلاح أولادهما العاقين بطرق لا تشتمل على مفساد في العاجل والأجل في حياة الأسرة، مع كثرة الدعاء لهم بالاستقامة والصلاح، والله

فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله إن أم هذا، بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، فقال: « أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: « فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد على جور » (أخرجه مسلم).

٤- وعند البخاري والنسائي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فكل بنيك نحلته مثل الذي نحلته النعمان؟ قال: لا، قال: فأشهد على هذا غيري، قال: « أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذا » مسند أحمد (٣٢٩/٣٠).

٥- عند ابن حبان والبيهقي: « اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر » ونحوها عند الطحاوي. انظر في التوفيق بين رواياته «الفتح» ٢١٢/٥ حديث صحيح (١٧٢١).

٦- قال صلى الله عليه وسلم: « اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم » (أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني).

٧- وفي صحيح مسلم أن امرأة بشير قالت له: انحل ابني غلاماً وأشهد لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن ابنة فلان سألتني أن أنحل ابنها غلاماً، قال: « له أخوة؟ » قال: نعم، قال: « أفكلهم أعطيت مثل ما أعطيت؟ » قال: لا، قال: « فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق ».

٨- وقال الحسن: بيتهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه، في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعده على فخذة اليمين، قال: قلبت قليلاً فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فهلا على فخذك الأخرى »، فحملها على فخذة الأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: « الآن عدلت ».

٩- وروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ضم ابناً له، وكان يحبه، فقال: يا فلان، والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة. (إسناده مقبول).

١٠- ويهيمن على كل تلك الأدلة هذا الدليل

المستعان. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا
محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله: هل يفضل بينهم باعتبار البر؟ يعني إذا كان أحدهما أبر من الآخر، فقال: سأعطي البار أكثر مما أعطي العاق تشجيعاً للبار وحثاً للعاق، فهذا لا يجوز، لأن البر ثوابه أعظم من دراهم تعطيه إياها، فالبر ثوابه عند الله - عز وجل - ولا تدري ففعل البار اليوم يكون عاقاً بالغد، والعاق اليوم يكون باراً بالغد، فلا يجوز أن تفضله من أجل برّه. اهـ

أما إذا أعطى بعض ولده لحاجته ومنع بعضهم لنفسه وكونه يستعين به على العاصي فلا حرج في ذلك، قال ابن قدامة: فإن خَصَّ بعضهم لمعنى يقتضي تخصيصه مثل اختصاصه بحاجة أو زمانة أو عمى أو كثرة عائلة أو اشتغاله بالعلم أو نحوه من الفضائل أو صرف عطيته عن بعض ولده لنفسه أو بدعته أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها، فقد روي عن أحمد ما يدل على جواز ذلك؛ لقوله في تخصيص بعضهم بالوقف: لا بأس به إذا كان حاجة وكرهه إذا كان على سبيل الأثرة، والعطية في معناه. اهـ

كيفية العدل بين الأولاد:

اختلف العلماء في ذلك على قولين، فمنهم من يرى أن العدل المطلوب هو التسوية بين الذكر والأنثى في العطية بينما يرى أصحاب القول الآخر أن تكون العطية على قدر ميراث الأولاد للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا القول الراجح - والله أعلم-؛ وذلك قياساً على قسمة الله تعالى في الميراث، وتسوية الأنثى بالذكر مخالفة لما وضعه الشرع من التفضيل، وهو أعلم بمصالحنا؛ ولأن حاجة الذكر إلى المال أعظم من حاجة الأنثى. وما قيل في وجوب العدل بين الأولاد، وأنه يكون على حسب ميراثهم، يقال في قسمة منفعة الوقف بينهم.

ولا يجب على الوالد التسوية في النقطة والكسوة والسكنى، بل الواجب الإنفاق على المحتاج كل فيما يخصه حسب كفايته وحاجته؛ لأنها إنما شرعت لدفع الحاجة، وهذا في الحاجة المعتادة، أما في الحاجة غير المعتادة فإنه يكون بالمعروف، فإذا زاد عن المعروف فهو من باب النحل.

حكم العدل بين أولاده في الأمور غير المالية:

ذهب جماهير أهل العلم على أن العدل بين الأولاد

مطلوب حتى في الأمور غير المالية، والتي تدل على التفضيل كتقريب بعضهم في المجلس أو تخصيصه بالكلام من غير حاجة، أو تخصيص بعضهم فيما إذا كانوا صغاراً بالتقبيل، لما ينجم عن التفضيل من العداوة وقطيعة الرحم بينهم وبين والديهم.

العدل بين الأولاد في المحبة وميل القلب مما لا يجب؛ لأنه غير مستطاع، لكن ينبغي للوالدين إخفاء محبة البعض، لما ينجم عن إظهارها من الفساد العظيمة الوخيمة.

حكم قسمة المال بين الأولاد في الحياة وكيفيةه:
الراجح - والله أعلم - جواز قسمة المال بين الأولاد في الحياة مع الكراهة، وأن القسمة تكون حسب قسمة الموارث، غير أن الأولى ترك ذلك. إذا ولد لمن قَسَمَ ماله في حال حياته، فإنه يجب عليه أن يسوي بينهم، ليحصل التعديل، وإن ولد بعد موته، شرع لمن أعطي أن يساوي المولود الحادث بعد أبيه.

أثر عدم العدل بين الأولاد:

وقد رأينا في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام من باريه، أن إخوة يوسف لما ظنوا بتفضيل أبيهم ليوسف وأخيه، حدث ما يسببه عمي بصر أبيه. وقد قص الله ذلك في كتابه فقال عز ذكره:

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا
لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبِيهٖ إِنَّ أَبَانَا لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْبَلُوا يُونُسَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ
أَيِّكُمْ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاهْتَدَىٰ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا
تَقْنَلُوا يُونُسَ وَالْقُوَّةَ الَّتِي بِيَدَيْهِ لِيَقْطَعَ بِبَعْضِ الْبَارِئِ
إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَاءَ ۖ (سُورَةُ يُوسُفَ: ٧-١٠).

«إِذْ قَالُوا: يَٰيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ... أَي: وَنَحْنُ مَجْمُوعَةٌ قَوِيَّةٌ تَدْفَعُ وَتَنْفَعُ... إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»..إِذْ يُوَثِّرُ غَلَامًا وَصَبِيًّا صَغِيرَيْنِ عَلَى مَجْمُوعَةِ الرِّجَالِ النَّافِعِينَ الدَّافِعِينَ! ثُمَّ يَغْلِي الْحَقْدَ وَيَدْخُلُ الشَّيْطَانُ، فَيُخْتَلِ تَقْدِيرَهُمَ لِلْوَقَائِعِ، وَتَتَضَخَّمُ فِي حَسَمِهِمْ أَشْيَاءٌ صَغِيرَةٌ، وَتَهْوُنُ أَحْدَاثٌ ضَخَامٌ. تَهْوُنُ الْفَعْلَةُ الشَّنْعَاءُ الْمُتَمَثِّلَةُ فِي إِزْهَاقِ رُوحٍ. رُوحُ غَلَامٍ بَرِيءٍ لَا يَمْلِكُ دَفْعًا عَنْ نَفْسِهِ، وَهُوَ لَهُمْ أَخٌ. وَهُمْ أَبْنَاءُ نَبِيٍّ فُوقَ مِنْهُمْ مَا حَكَّتْهُ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ .

نسأل الله أن يبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا وأن
يسعدنا في بيوتنا، ويبارك لنا في ذرياتنا، ويختم
بالبقيات الصالحات أعمالنا؛ إنه حواد كريم.

قصة موت النبي صلى الله عليه وسلم في حجر علي رضي الله عنه



تحذير الداعية
من القصص الواهية

علي حشيش

عدد ١٩٩

الحققة (١٩٩)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه
القصة التي اشتهرت وانتشرت خاصة في هذه الأيام، وإلى القارئ الكريم التخرير والتحقيق:

ثالثاً: التخرير:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه ابن سعد
في «الطبقات الكبرى» (٣٨٠/٢) قال: أخبرنا محمد
بن عمر، حدثني سليمان بن داود بن الحصين،
عن أبيه، عن أبي غطفان قال: سألت ابن عباس:
أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى في حجر
أحد؟.. القصة.

رابعاً: التحقيق:

هذه القصة واهية والخبر الذي جاءت به القصة
موضوع، وعلمته محمد بن عمر.

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال»
(٦٠٩٠/٩٧/١٧): «محمد بن عمر بن واقد الواقدي
الأسلمي، أبو عبد الله المدني، قاضي بغداد، روى
عنه كاتبه محمد بن سعد وآخرون.

٢- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير»
(٣٣٤): «محمد بن عمر الواقدي (قاضي بغداد
متروك الحديث)».. اهـ.

قلت: وهذه العبارة «متروك الحديث» من البخاري
تدل على الضعف الشديد يتبين ذلك من قول
الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص ٤٨): «أما قول
البخاري: «سكتوا عنه» فظاهرها أنهم ما تعرضوا له
بجرح ولا تعديل، وعلمنا مقصده بها بالاستقراء:
أنها بمعنى تركوه».. اهـ.

قلت: فكيف لو قال في الراوي متروك؟

٣- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين»
(٥٣١): «محمد بن عمر الواقدي، متروك
الحديث»..

قلت: ومصطلح متروك عند الإمام النسائي له
معناه، وهذا أمر له أهميته في الصناعة الحديثية:
حيث قال الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص ٤٨):

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

لقد قام شيعي ضال مُضِل على إحدى القنوات
الفضائية الشيعية المشهورة ليلة الجمعة ٣ ربيع
الأول ١٤٣٨هـ، ولا يهمننا ذكر اسم هذا الرافضي ولا
ذكر اسم القناة بقدر ما يهمننا بيان حقيقة هذه
القصة: فشعارنا في هذه السلسلة «تحذير الداعية
من القصص الواهية» (بيننا وبين القوم القوائم لا
الشتائم).

وما كنا لنرد على إفاك هؤلاء الشيعة فقد امتلأت
كتبهم بالكذب والضلal المبين لولا أن هذا الشيعي
جاء إلى القناة بكتب السنة الأصلية ليقرأ منها
هذه القصة على الناس في مشارق الأرض ومغاربها،
ليسلب هذا الشيعي بخبثه وضلاله منقبة من
أعظم المناقب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما
الصديقة بنت الصديق، خاصة أن كثيراً من الناس
لا يفرقون بين التخرير والتحقيق، فيخيل لهم من
إفكهم أنها صحيحة، ولكن هيهات هيهات لما يقولون.

ثانياً: المتن:

رُوي عن أبي غطفان قال: «سألت ابن عباس: أرأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى ورأسه في حجر
أحد؟

قال: توفى وهو مستند إلى صدر علي.

قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت:
«توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري
ونحري؟»..

فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانه مستند إلى صدر علي!!
وهو الذي غسله، وأخي الفضل بن عباس وأبى أبي
أن يحضر، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يأمرنا أن نستتر، فكان عند الستر.. اهـ.

قال: «كان الواقدي يقلب الأحاديث»، وهذا الوصف أقره الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه فقال: «كما وصف وأشد؛ لأنه عندي ممن يضع الحديث». اهـ، ولقد بينا آنفاً أن الإمام الذهبي نقل «الميزان»: أن الإمام أحمد بن حنبل قال: «محمد بن عمر الواقدي هو كذاب يقلب الأحاديث». اهـ.

ثم نقل عن الإمام الثقة الثبت علي بن المديني أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه قال: «الواقدي يضع الحديث». اهـ.

قلت: هذه أقوال أئمة الجرح والتعديل الذين عاصروا الواقدي.

١- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٩٤/٢): «محمد بن عمر بن واقدي الأسلمي الواقدي: المدني القاضي، نزيل بغداد، متروك، مات سنة سبع ومائتين وله ثمان وستون». اهـ (١٣٩-٢٠٧هـ).

٢- وقال في «التقريب» (٥٤/١): «إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ثقة حافظ قرين أحمد بن حنبل، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله اثنان وسبعون». اهـ (١٦٦-٢٣٨هـ)، نقل الذهبي في «التذكرة» (٤٣٥/٢) أن أحمد بن حنبل قال: «إسحاق لم يلي مثله».

٣- وقال في «التقريب» (٢٤/١): «أحمد بن حنبل أحد الأئمة ثقة حافظ فقيه حجة نزيل بغداد مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبعون سنة». اهـ (١٦٤-٢٤١هـ).

وقال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤٣٦/٢٨٨): «علي بن المديني حافظ عصره وقدة أرباب هذا الشأن أبو الحسن ولد سنة إحدى وستين ومائة، ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين». اهـ (١٦١-٢٣٤هـ).

قلت: قد يستخف من لا دراية له بالصناعة الحديثية بهذه التواريخ والوفيات، ولكن من الحديث صناعته يعلم أهميتها؛ فهي من أهم أنواع علوم الحديث فقد ذكرها الإمام السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/٢) النوع (٦٠) قال: «التواريخ والوفيات هو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنظري في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنتين». اهـ.

قلت: فهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل من الذين عاصروا محمد بن عمر الواقدي كما هو مبين من

«ثم أهم من ذلك أن تعلم بالاستقراء التام عُرف ذلك الإمام الجهمي واصطلاحه، ومقاصده بعباراته الكثيرة».

ولقد بين ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص ٧٣) قال: «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٤- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٩٩٣/١٦٢/٣) أن الإمام أحمد بن حنبل قال: «محمد بن عمر الواقدي هو كذاب يقلب الأحاديث»، وقال ابن معين: «ليس بثقة»، وقال البخاري وأبو حاتم: «متروك»، وقال أبو حاتم أيضاً والنسائي: «يضع الحديث»، وقال ابن عدي: «أحاديثه غير محفوظة، والبلاء منه»، وقال ابن المديني: «الواقدي يضع الحديث». اهـ.

خامساً: الاستنتاج

قلت: نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن محمد بن عمر الواقدي «متروك، ليس بثقة، كذاب، يضع الحديث، يقلب الأحاديث، أحاديثه غير محفوظة، والبلاء منه».

من أجل هذا يصبح هذا الخبر من نوع الموضوع بتطبيق قول الحافظ في «النخبة» (ص ٤٣): «إن كان الطعن لكذب الراوي فهو الموضوع».

قلت: أما عن حكم روايته:

قال السيوطي في «التدريب»: «يحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء في الأحكام أو القصص أو الترغيب وغيرها إلا مع بيان وضعه لحديث مسلم: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». اهـ.

قلت: فالخبر موضوع والقصة واهية. فائدة: قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤١/٦) (١٧١٩/٩٨): «الواقدي أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه». اهـ.

قلت: ومع أن البلاء منه؛ فشيخه سليمان بن داود بن الحصين قال فيه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧٤٦/٧): «لا يعرف حاله»، لذلك أورده الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١١١/١/٢) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

سادساً: الواقدي والمقلوبات

لقد بينا آنفاً أن الإمام الحافظ ابن أبي حاتم أخرج في «الجرح والتعديل» عن الإمام أحمد بن حنبل أنه

التواريخ والوفيات، وتبين أنه كذاب يقلب الأحاديث يضع الحديث.

سابعاً: بيان أن هذا الخبر من المقلوبات والموضوعات:

الواقدي يقلب الأحاديث؛ لأنه كذاب وضاع كما بينا، فنجد في هذا الخبر يقلب حديث عائشة في موت النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه بين نحرها وسحرها، ويلقي به فيجعله عن علي بأن النبي صلى الله عليه وسلم توفى وأنه لم يستند إلى صدر علي.

بل ومن كذب الواقدي ووضعه الذي يقلب به الحديث أن جعل لأبي غطفان في هذا الحديث سنيين مخرجهما واحد: «الواقدي عن سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه».

١- فقد أخرج محمد بن سعد في «الطبقات» (٣٨٠/٢) وهو كاتب الواقدي قال: أخبرنا محمد بن عمر الواقدي حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن أبي غطفان قال: سألت ابن عباس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفى وهو لم يستند إلى صدري علي.

٢- قلت: انظر بعد ذلك إلى الكذب والوضع في هذا الحديث بنفس المخرج فيأتي بسند ثقله حديث عائشة: فبنفس المخرج إلى أبي غطفان، قال أبو غطفان لابن عباس: «إن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري».

٣- فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لم يستند إلى صدر علي، وهو الذي غسله وأخي الفضل بن عباس، وأبى أبي أن يحضر، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نستتر فكان عند الستر.. اهـ.

قلت: وفي ذلك برهان على أقوال أنمة الجرح والتعديل والتي أوردناها آنفاً: أنه كذاب يقلب الأحاديث ويضع الحديث.

ثامناً: مخالفة هذا الحديث للموضوع المتفق عليه:

لقد تبين أن الخبر الذي جاء به قصة موت النبي صلى الله عليه وسلم في حجر علي كما بوب ابن سعد كاتب الواقدي في كتابه «الطبقات» أنه خبر موضوع، وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في موته، وأن ابن عباس بريء من كذب الواقدي.

١- فقد ثبت في «صحيح البخاري» (٤٤٤٩): «مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ عَيْسَى بْنُ يُوْنُسَ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكَوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوِفِّيَ فِي بَيْتِي فِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَيَّدَهُ السَّوَاكُ، وَأَنَا مُسْتَنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارِئْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَغَرَفَتْ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ، فَقُلْتُ: أَخَذَهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَتَنَاوَلْتُهُ فَأَشَدَّتْ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْتَهُ لَكَ، فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْتَنِي، فَأَمَرَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعًا أَوْ عُلبَةً- يَشْكُ عَمْرٌ- فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَاتَ يَدُهُ». اهـ. وهناك سند آخر يدل على كذب الواقدي.

٢- فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (٤٤٥٠) قال: «حدثنا إسماعيل: قال: حدثني سليمان بن بلال، حدثنا هشام بن عروة، أخبرني أبي عن عائشة قالت: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سَوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطَنِي هَذَا السَّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَصَصْتُهُ ثُمَّ مَضَعْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَسْنِدٌ إِلَى صَدْرِي».

وهناك سند آخر يدل على كذب الواقدي:

٣- فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (٤٤٥١) قال: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تُوِفِّيَ فِي بَيْتِي فِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي- ثُمَّ ذَكَرَتْ قِصَّةَ السَّوَاكِ- ثُمَّ قَالَتْ: فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاولَنيهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ.

٤- والحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٤٤٣) من حديث عائشة قالت: «فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري».. اهـ.

٥- والحديث أخرجه أيضاً مسلم في «صحيحه»

إليهم». ثم قال:

٣- وقد رأيت بيان حال الأحاديث التي أشرت إليها دفعا لتوهم التعصب.

١- قال ابن سعد «ذكر من قال توفيه في حجر علي».
أ- وساق من حديث جابر: سألت كعب الأحمبار عليا ما كان آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم فقال: أسندته إلى صدري، فوضع رأسه على منكبي..
الحديث. قال الحافظ: «وفي سنده الواقدي وحرام بن عثمان وهما متروكان». اهـ. قلت: ولقد بينا أنفا من أقوال الأئمة أن الواقدي كذاب، يضع الحديث، ويقلب الأحاديث.

ب- ثم قال الحافظ: وعن الواقدي عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعوا إلى أخي، فدعي له علي فقال: ادن مني، قال: فلم يزل مستندا إلي وإنه ليكلمني حتى نزل به ونقل في حجري.. الحديث.

قال الحافظ: «فيه انقطاع مع الواقدي وعبد الله فيه لين». قلت: وكما بينا أنفا عن ابن عدي: «أن البلاء من الواقدي» وهو كذاب وضاع.

ج- قال الحافظ: وبه عن أبيه عن علي بن الحسين: «قبض ورأسه في حجر علي». وفيه انقطاع مع الواقدي أيضا.

د- قال الحافظ: وعن الواقدي عن أبي الحويرث عن أبيه عن الشعبي قال: توفيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي. وفيه الواقدي والانقطاع وأبو الحويرث اسمه عبد الرحمن بن معاوية. قال: مالك ليس بثقة وأبوه لا يعرف حاله.

م- ثم ذكر حديث أبي غطفان الذي رواه ابن سعد عن الواقدي وهو حديث القصة الواهية.

ن- ثم قال: أخرج الحاكم في الإكليل من طريق حبة العدني عن علي: أسنده إلى صدري فسالت نفسه. وحبة ضعيف.

قلت: حبة هو العربي بالراء وليس بالبدال وهو تصحيف، فقد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٤٥٠/١٦٨٨): «حبة بن جوين العربي الكوفي عن علي، من غلاة الشيعة، قال الجوزجاني: غير ثقة. وعن يحيى بن معين غير ثقة». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

(ح ٢٤٤٤) قال: «حدثنا قتيبة بن سعد، عن مالك بن أنس فيما قرئ عليه، عن هشام بن عروة، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة أنها أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت، وهو مُسْنَدٌ إلى صدرها، وأصغرت إليه وهو يقول: اللهم اغفر لي وارحمني وألحطني بالرفيق الأعلى». اهـ.

قلت: والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٢/٦) (ح ٢٤٠٨٥)، (٤٨/٦) (ح ٢٤٢٦٢)، (٦٤/٦) (ح ٢٤٣٩٩)، (٧٤/٦) (ح ٢٤٤٩٨)، (٢٣١/٦) (ح ٢٥٩٨٩).

قلت: وتحليل طرق حديث عائشة التي جمعنا بعضها والتي لا تتسع المساحة المتاحة لذكرها يتبين:

أ- أن حديث عائشة متفق عليه فهو في أعلى درجات الصحة في إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم توفيه في بيتها وبين سحرها ونحرها، وهو مسند إلى صدرها، وجمع الله بين ريقها وريقه صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

ب- وعروة بن الزبير من كبار التابعين وثقاتهم روى هذا الحديث عن عائشة وتابعه جماعة من الثقات عن عائشة، فالحديث متفق عليه ومشهور عن عائشة، ورواه عن عروة جمع من الثقات فهو مشهور أيضا شهرة نسبته عن عروة.

تاسعا: الشيعة وأثرهم السيئ:

إن نفي هذه المنقبة عن الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها وإثباتها لعلي رضي الله عنه إنما هو من صنع الكذابين من الشيعة أو من يساندتهم.

١- قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/٧٥٤): «وفي رواية دكوان عن عائشة "توفيه في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وإن الله جمع ريقه وريقه عند موته في آخر يوم من الدنيا"، والسحر هو الصدر، والنحر موضع النحر. والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها صلى الله عليه وسلم ورضي عنها». اهـ.

٢- ثم قال الحافظ: وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق «أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ورأسه في حجر علي». ثم قال: «وكل طريق منها لا يخلو من شيعي فلا يلتفت»

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

دحض شبهات الأشاعرة في ردهم صفات الله تعالى الفعلية والاختيارية

د. محمد عبد العليم الدسوقي

إعداد

الحققة (٢١)

الاستاذ بجامعة الأزهر

أ- موقف أهل السنة مما فاده الأشاعرة من نفيهم صفاته تعالى الفعلية والاختيارية:

وما ذكره متأخرو الأشاعرة، قد نظمهم إبراهيم اللقاني بقوله في (جوهرة التوحيد) بعد أن تكلم عن صفات المعاني:

فقدرةً بممكن تعلقت

بلا تناهي ما به تعلقت

ووحدةً أوجب لها ومثل ذي

إرادة والعلم لكن عم ذي

وعم أيضاً واجباً والممتنع

ومثل ذا كلامه فلنتبّع

كذا بما مضاه - كما في شرح البيجوري على الجوهرة ص ٩٠ وما بعدها - : «أن تعتقد أن قدرة الله واحدة لأن تعددها لا يقتضيه معقول ولا منقول، ولأنه لو كان له قدرتان للزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد.. وإرادة الله مثل قدرته في: تعلّقها بكل ممكن وعدم تناهي متعلقاتها وإيجاب الوحدة لها.. ومثل القدرة أيضاً في الثلاثة السابقة: (العلم)، (لكن عمّ العلم ليشمل إلى جانب (الممكنات): (الواجبات والمستحيلات)، ومثل علمه تعالى في عموم تعلّقه بالواجبات والجائزات والمستحيلات وفي عدم تناهي متعلقاته، وإيجاب وحدته: كلامه - وكل هذا رده جماعة أهل السنة من وجوه:

أولها: ما سبق أن أفدناه من كلام الأشاعرة أنفسهم فيما أسموه بـ (الصلوحي القديم) و(التنجيزي الحادث) من أن الحدوث والتعدد والتجدد بهذين الاعتبارين: الأصل فيه ألا يكون ممتنعاً، وألا يطلق عليه أن له تعالى فيه قدرتان، ولا أنه متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة ولا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى ما سبق أن بينا، فإن منشأ تعطيل الباري لصفات أفعاله لدى الأشاعرة، هو لازم كلامهم عن متعلقات صفات المعاني.. فهم حين تكلموا عن صفات المعاني من حيث تعلقاتها، وذكروا أن منها: ما يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات وهم صفتا (العلم) و(الكلام)، ومنها: ما يتعلق بالممكنات وهي صفتا (القدرة) و(الإرادة)، بدا عوار كلامهم وتناقضه.. ذلك أنهم قصدوا بالتعلق: (بيان أن الصفة أمر زائد على قيامها بذاته تعالى وليست لازمة له)، فعند إيجاد الشيء أو إعدامه يتجدد متعلق القدرة، وعند تخصيص أيّاً منهما يتجدد متعلق الإرادة..

وهذا الأصل في لازمه: أن يكون التعلق وجودياً يتجدد في المستقبل بتجدد الممكنات، وأن فعل القدرة والإرادة يتجدد بتجدد كل ما هو ممكن كإيجاد الولد مثلاً وإعدامه، وبذا تثبت أفعاله تعالى الاختيارية، لكن الأشاعرة ينفون كل ذلك بحجة (حلول الحوادث)، إذ مؤدى كلامهم في إنكار الصفات الفعلية والاختيارية وتعطيلها: أن حدوث المحدثات دليل على قيام الصفات والأفعال بها، وأن كل ما قامت به فهو حادث، فأضحى التعلق لديهم بهذا عدمياً لا حقيقة له، وقد ذكر ذلك الرازي ونص عليه السعد في (شرح المقاصد) ٢٣٤/١، فبيناً أن التعلق نسب إضافية بين الصفة والمتعلق لا حقيقة لها في الخارج، وهذا لازمه: عدم قيام فعل في ذات الله يتعلق به إيجاد متعلق الصفة، وتعطيل الباري من ثم عن أفعاله الاختيارية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

تكون بمشيئته، ولا أنه حدث له وصف متجدد بعد أن لم يكن.. وكذا ما أفدناه من كلام ابن أبي العز من أن ذلك ثابت بالنقل والمشاهدة وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته، ومن أنه لا يرد عليه أن هذه الأحوال تحدث في وقت دون آخر، فإنك ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس لا يقال: (إنه حدث له الكلام)، وأن الساكت لغير آفة يسمى: (متكلماً) بمعنى أنه يتكلم بما شاء متى شاء.

ثانيها: ما بدا في كلام اللقاني وسائر الأشاعرة من تناقض، إذ «لا يخلو أمر التعلق من أن يكون: وجودياً، وهو تجدد فعل القدرة والإرادة كقدرته تعالى وإرادته على إيجاد الولد وإعدامه وكذا نزوله إلى السماء الدنيا، فيلزم على هذا: إثباتهم لأفعال الله الاختيارية، وهو عينه ما ينفونه بحجة حلول الحوادث، أو يكون: أمراً عدمياً - وهو ما أشار إليه الرازي والسعد فيما سبق أن ذكرناه لهما - والتعلق بالعدم لا حقيقة له وغير ممكن، ولذا احتالوا عليه وجنحوا بسببه للحديث عن المتعلقات، وهو كما ترى لا يقف على ساق، إذ لازم التعلق بالأصل فيه: أن يكون أمراً وجودياً وأن فعل القدرة والإرادة فيه يتجدد بتجدد كل ما هو ممكن.

ثالثها: أن تخصيص صفات الله بتعلقها بالممكنات والواجبات والمستحيلات، من المسائل المبتدعة في توحيد الصفات، فليست هي في كلام الله ولا كلام رسوله ولا كلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين، بل ليس فيه مزيد علم ولا ثمرة إيمان عند معرفة هل قدرة الله تعلقت بالممكن دون الواجب؟، إذ ثمرة الإيمان أن نؤمن بأن الله قادر مريد سميع بصير كما أثبت ذلك لنفسه.

رابعها: أن حصر هذا التعلقات عند اللقاني وسائر الأشاعرة غير منضبط، فقصر تعلق القدرة والإرادة مثلاً على (الممكنات)، دون (الواجبات) التي هي لديهم: ما لزم لله من الصفات التفضية والسلبية والمعاني، و(المستحيلات) وهي: ما يستحيل على الله من أضداد هذه الصفات، فيه نظر.. ذلك أن الإرادة تتعلق بالواجبات، لإرادته سبحانه الأمر في نحو قوله: (إنما قولنا شيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون .. النحل/٤٠)، فهنا الإرادة بقوله سبحانه وصفة كلامه، هي قد تعلقت بواجب، وهو: بعض صفاته، فيكون حصر

تعلق الإرادة بالممكن باطل..

وكذلك قدرته تعالى على النزول إلى سماء الدنيا واستواؤه على عرشه إلى غير ذلك مما يروونه مستحيلاً، هو في الحقيقة تعلق بواجب وهو الإيمان بصفاته سبحانه التي يرى اللقاني ويقر أنها واجبة وليست بممكنة: إنه يتصرف من كتاب (عقيدة الأشاعرة.. دراسة نقدية لمنظومة اللقاني على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) لحسان إبراهيم ص ٢٠٣، ٢٠٤.

خامسها: أن تقسيم صفات المعاني من حيث تعلقاتها إلى: ما يتعلق بالممكنات وهما صفات (القدرة والإرادة)، وما يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات وهما (العلم والكلام).. إلخ، غير منضبط أيضاً، ذلك أن مصطلحي (المستحيلات) و(المتنوعات) مترادفان، إذ الأخيرة على ما قيل هي: (التي لا يتصور وجودها في الخارج وإنما يُقدرها الذهن تقديرًا)، أو هي على حد قول الغزالي في تهافت الفلاسفة ص ٤٩: (كل ما قدر العقل وجوده فلم يمتنع عليه تقديره، سميانه: ممكناً، وإن امتنع سميانه: مستحيلاً)..

وكذا مصطلح (الجائزات) هو مرادف لمصطلح (الممكنات)، على ما أفاده البيجوري في شرحه الفائت على الجوهرة.. وهي على أي حال: مصطلحات «ابتدعها الفلاسفة المنتسبون للإسلام كابن سينا، فالمكن عند ابن سينا: (هو الذي ليس بممتنع أن يكون أو لا يكون، أو الذي ليس بواجب أن يكون وأن لا يكون)، وعرفه الرازي في المطالب العالية ٧٢/١: بأنه: (الذي يقبل الوجود ويقبل العدم)، لكن المتكلمين وافقوا الفلاسفة في أن ممكن الوجود في شيء يكون واجب الوجود، وهذا باطل، إذ الممكن هو: (الذي يقبل الوجود والعدم ولا يوجد إلا بموجد يوجده)» ينظر السابق ١٥٥ يتصرف.

سادسها: بل إن حصر الصفات الواجبة بحقه تعالى في العشرين التي ذكرناها في الحلقة الماضية بمسمايتها -والتي عنها يقول اللقاني في كتابه (هداية المريـد لجوهرة التوحيد): «هي ما انتهت إليه إدراك القوى البشرية.. ولسنا مكلفين بما لم يُنصّب عليه سبحانه دليلاً يوصلنا إليه» - غير صحيح بالمرّة.. ذلك أن ذكر ما يجب لله، هو من خصائصه سبحانه ولا يحق لأحد دونه أن يوجب

بالشرع، ذلك أن التعرف على الله، إنما يكون: من خلال أسمائه وصفاته وهي لا تعرف إلا من خلال الشرع، فكيف نحصر معرفته على أمور لم تثبت بزعمهم إلا بالعقل؟ وما الفرق والرجال كذلك بين منهج الأشاعرة ومنهج الفلاسفة ومن تأثر بهم من الجهمية والمعتزلة الذين قالوا بأن معرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل التي هي الأصل، وأن ما عداها - على حد قول القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة ص ٣٦ - «فرع على معرفة الله بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها - يقصد: من أدلة الشرع - على الله كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله، وذلك لا يجوز؟»، كذا زعم!.. وحسبنا في رد كل هذا قول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في معتقده: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث».

ب- المزيد من دحض منهج الأشاعرة في إثباتهم بعض الصفات على حساب بعضها الآخر: ثامننا: أنا إذا ما تتبعنا منهج الأشاعرة في الإقرار بسائر الصفات العشرين التي أثبتوها على حساب ما لم يثبتوه من صفات أفعاله، لوجدنا العجب، فقول الأشاعرة عن معنى الصفة النفسية (الوجود) بأنها: «صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها»، ووصفهم الله ب (الموجود) أو ب (واجب الوجود)، تقرير لما لم يأت به الكتاب ولا السنة، وأهل السنة على أن هذه الإطلاقات وإن جاز الإخبار بها عن الله كونها معلومة من الدين بالضرورة، إلا أنه لا يجوز أن نسميه أو نصفه بها، ذلك لـ «أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الإخبار عنه ك (القديم والشيء والموجود والقائم بنفسه) لا يجب أن يكون توقيفياً».

وهذا هو فصل الخطاب على ما ذكر ابن القيم في بدائع الفوائد ١/ ٢٨٥. وسر ذلك كما قال قبلها: «أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى، أوسع مما يدخل في باب أسمائه الحسنی وصفاته العليا».. وما من شك أن وصف الله بنحو: (الغني) و(القيوم) أوفى وأكفى، وأتم وأكمل من وصف (الوجود) أو (واجب الوجود) الذي لم يصف به تعالى نفسه والذي قرره الأشاعرة تبعاً للمعتزلة والفلاسفة، فقد ذكروهما في رد شبهة تعدد القدماء وفي تقرير

له شيئاً لم يوجبه لنفسه، وقد دلتنا على جميع صفاته في كتابه وسنة نبيه.

وعليه فحصر (الواجبات) له في عشرين صفة تنكب عما في الكتاب والسنة، ورد ذلك لما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من صفات ذاته وصفات أفعاله، والحق أن نصوص الصفات التي وردت في الوحيين في إثبات صفاته الفعلية والخبرية من علوه واستوائه على عرشه ورضاه وغضبه ومحبته ووجهه ويديه.. إلخ، لا تخفى على ذي لب منصف.

سابعها: أن لازم جعل اللقائي وعموم الأشاعرة توقف إثبات الصفات على إدراك القوى البشرية: أن يكون العقل هو المثبت لله أسماء وصفاته، لا ما نص الله عليه ورسوله.. وتلك غاية المخالفة لنصوص الشريعة التي جاءت بتنفيذ أمره وتصديق خبره التي منهما: امتثال ما أوجبه تعالى على نفسه أو سماها أو وصفها به، وإلا فأين قول اللقائي في إدراك العقل لما يجب لله من قوله تعالى: (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير.. الحديد/٤)؟

وهل للعقل استقلالاً من عنده أن يثبت ما ورد في هذه الآية وما جاء على شاكلتها وما أكثره؟! والجواب بالنفي: دليل دامغ على أن (منتهى إدراك القوى البشرية) ليست مصدراً لإثبات صفة أو نفي أخرى، ولا لإثبات ما يجب أو يجوز أو يستحيل عليه تعالى، ولا تصلح في الأساس أن تكون لأي.. ثم إن قول اللقائي وهو من أبرز منظري مذهب الأشاعرة: (لسنا مكلفين بما لم ينصب عليه سبحانه دليلاً يوصلنا إليه)، رد للأدلة المتضافرة في صفات أفعاله اللازمة، وإلا فأين نذهب بقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى.. طه/٥).

والاستواء بعد مما أخبر الله به وليست من العشرين صفة التي قال بها اللقائي تبعاً للأشاعرة، ومثل هذا يقال بحق سائر ما أثبتته تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله في منات النصوص المثبتة لصفات أفعاله.. كما أن في هذا المنهج الذي سلكوه في حصر الواجبات في عشرين صفة، مخالفة صريحة لمنهجهم في أن معرفة الله واجبة

إفراده تعالى بالربوبية والألوهية، على الرغم من أن هذا التقرير لمعنى (الوجود) و(واجب الوجود) يعود على ما أثبتوه من صفات المعاني - التي قالوا: إنها زائدة عن الذات - بالإبطال، بل وينفي مئات النصوص الدالة على باقي صفاته تعالى، كون الصفات جميعها بدالاتها المختلفة دالة على نفس الذات أيضاً وليست مباينة لها ولا منفصلة عنها.. كما أن وصفهم (الوجود) بأنه صفة نفسية أمر ذهني لا حقيقة له، وهذا كاف ببطلان أن يكون الله بهذه الهيئة الذهنية.. بل إن تفريق الأشاعرة بين وصف الله بـ (الصفة النفسية) و(صفات المعاني) الثبوتية أشد فساداً من تفريق أهل المنطق بين الصفات الذاتية والصفات اللازمة للماهية، كون هذا التفريق كما ذكر ابن تيمية في درء التعارض ٣٧٤/٢: «لا حقيقة له».

أما عن إثبات الأشاعرة للصفات السلبية التي هي: (القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية) والتي أوضح اللقاني تبعاً للأشاعرة أنها لا تتضمن أمراً ثبوتياً وذكر البيجوري: أنها «التي دلت على سلب ما لا يليق به سبحانه» يعني: من أضدادها، وأنها «ليست منحصرة» على هذه الخمسة..

فيرد عليه: أنه فضلاً عن أنها مفضية بسلبيتها إلى نفي الصفات الخيرية والفعلية كما سيأتي، وأن أسماء الله وصفاته توقيفية والصفات السلبية ليست كذلك، فإن مدلول صفات السلب عديم وهو سبحانه لا يتمدح بالأمر العدمي، وإنما يتمدح بما هو ثابت له سواء أكان عن طريق الإثبات أو عن طريق النفي المجمل المتضمن كمال ضده، كما أن قول الأشاعرة عن الصفات السلبية: إنها «ليست منحصرة»، وعدم قصرهم إياها على ما ورد في الكتاب والسنة بحيث صار ما ينقونه أضعاف أضعاف ما يثبتونه من العشرين صفة أوسع المعاني إن شئت، والاعتماد في نفي ما يصاد الكمال من النقائص والعيوب على أنها مستلزمة لتشبيه الله بمخلوقاته، كل هذا مخالف لمنهج أهل السنة المعتمد في نفي هذه النقائص على إثبات ما يقابلها بالضرورة وبطريق الاستلزام، وأنه تعالى - فيما نفوه في باب الصفات بما فيها الخيرية والفعلية - لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بأنه مباين

للعالم لكان داخلأ فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم اتصافه بالأخرى، وتلك السلبية صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات، فتنزیه الخالق عنها أولى، وعلى هذا يكون القياس كذا في الفتاوى ٨٨/٣.

يضاف لذلك أن التوسع في هذا الباب على غير طريقة أهل السنة هذه: أدخل كل من يريد أن يعطل الله عن أسمائه وصفاته فنفي ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له رسوله بحجة أن إثبات ذلك يستلزم التشبيه، فالأشاعرة حين نفوا عن الله استوائه على عرشه مثلاً لتوهمهم النقص في احتياج الله إلى العرش، خالفوا صريح ما أثبتته سبحانه لنفسه في غير ما آية، كما انتهكوا حرمة مئات الأخبار في السنة الصحيحة وآثار الصحابة والتابعين، وقابلوا كل ذلك بالتحريف والتأويل والتعطيل، ومن هنا كانت الطريقة السائدة في القرآن والسنة على خلاف ما عليه الأشاعرة، أعني: على النفي المجمل والإثبات المفصل، وكانت طريقة أهل السنة مبتناة على التوسع في صفات الإثبات دون صفات السلوب التي التوسع فيها من دأب الجهمية والمعتزلة.

وعن هذا النهج غير السوي يقول الذهبي في (العلو) ص ١٩٠: «سلب هذه الأشياء وإثباتها مداره على النقل، فلو ورد شيء بذلك؛ نطقنا به، وإلا فالسكوت والكف أشبه بشمائل السلف، إذ التعرض لذلك نوع من الكيف وهو مجهول، وكذلك نفوذ بالله أن ثبت استواءه بمماساة أو تمكن، بلا توقيف ولا أثر، بل نعلم من حيث الجملة أنه فوق العرش كما ورد النص».

ومن قبله يقول شيخ الإسلام في درء التعارض ١٦٣/٥: «أخبر الله في كتابه بإثبات مفصل ونفي مجمل، والمعطلة الجهمية متكلمهم ومتفلسفهم أخبروا بإثبات مجمل ونفي مفصل» ١٠٠هـ، وقد تبعهم في هذا متأخرو الأشاعرة مخالفين بذلك منهج القرآن والسنة وخير القرون وتابعيهم بإحسان، ورحم الله أبا حنيفة حين صب لعنته على من فتح هذا الباب وابتدع هذه الطريقة، فقد قال لما سُئل عن الكلام في الأعراض والأجسام: «لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا».. هذا عن منهج الأشاعرة في الصفات السلبية على الإجمال.

أما على التفصيل فهذا ما سيتناوله حديث الحلقة القادمة بمشيئة الله.. والحمد رب العالمين.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

وبعد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادِيَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتُهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَئِهِ (صحيح البخاري (٦٥٠٢)).

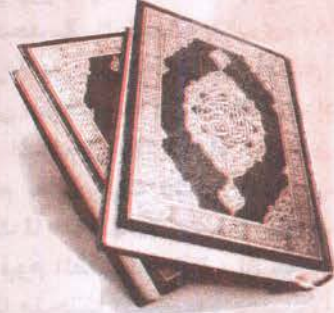
ذكرنا في العدد الماضي جملة من الفوائد العقدية والتربوية المستفادة من "حديث الولي" وفي هذا العدد تكمل ما بدأناه من فوائد فنقول مستعينين بالله عز وجل:

أولاً: عقيدتنا في كرامات الأولياء:

من أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامات الأولياء وإثباتها والتصديق بها، خلافاً لمن أنكرها من المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة بدعوى التباسها بالمعجزة وهي دعوى باطلة لأن الكرامة لا تقتصر بدعوى الرسالة وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم. قال الإمام الطحاوي: "ولا نُفَضِّلُ أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم" (شرح الطحاوية: ٧٤٥/٢).

وقال السفاريني- رحمه الله- في منظومته: وكل خارق أتى عند صالح من تابع لشرعنا وناصح فإنها من الكرامات التي بها نقول تبعاً للأدلة، ومن نفاها من ذوى الضلال فقد أتى في ذاك بالمحال؛ فإنها شهيرة، ولم تزل في كل عصر، يا شقاً أهل الزلل. (لوامع الأنوار البهية/ للعلامة

اتبعوا ولا تباعدوا



ولاية الله بين أهل السنة ومخالفهم

الحلقة الثانية

معاوية محمد هيكل

إعداد/

السفارييني ج ٢ ص ٣٩٢).

الأدلة على كرامات الأولياء:

منها ما ذكره الله تعالى في كتابه من مجيء الرزق لمريم تفضلاً منه سبحانه؛ وليس من أحد من البشر، وكذا إنبات الرطب وإجراء النهر لها؛ ولم يكن شيء منها قبل ذلك، ومنها: ازورار الشمس عن أهل الكهف؛ فلا تصيبهم مع أنهم في مكان مفتوح انفتاحاً واسعاً، ومنها: إحضار الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام. ومنها: تكلم الغلام في المهد، ومنها: عجز الملك عن قتل الغلام حتى قال: بسم الله رب الغلام (انظر: صحيح البخاري، ح/٢٣٥٨، ٥٠٨٤).

ومنها ما وقع للصحابية رضي الله عنهم وهي كثيرة جداً؛ مثل ما كان من أسيد بن حضير وهو يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته) رواه البخاري (٥٠١٨).

وعباد بن بشر، وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة؛ فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما رواه البخاري (٤٦٥).

وقصة الصديق رضي الله عنه في الصحيحين (لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربي من أسفلها أكثر منها فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامراته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا) رواه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧). وخبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكة - شرفها الله تعالى - وكان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة عنبه رواه البخاري (٣٠٤٥).

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد

ولا ماء فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الغطر وكانت صائمة سمعت حساً على رأسها فرفعته، فإذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٢٤/٨).

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه، وكانت الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء أقسم على ربك فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد فمَنَحُوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً) رواه أبو نعيم في (حلية الأولياء: ٧/١).

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمر عليهم رجلاً يسمى سارية فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر (يا سارية الجبل يا سارية الجبل فقدم رسول الجيش فسأل فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدواً فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله) رواه اللالكائي في (شرح اعتقاد أهل السنة) (١٣٣٠/٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٧٠/٦) وصححه الألباني في المشكاة.

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين ودعا الله تعالى لما اعترضهم البحر ولم يقدرُوا على المرور بخيولهم فمرُوا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم. رواه الطبراني (٩٥/١٨).

لا تغفلوا في الأولياء:

ومع ما ذكرنا من كرامات الأولياء فإننا نؤمن ببطان ما قد يعتقد فيهم من الغلو؛ فأولياء الله ليسوا معصومين، ولا يعلمون الغيب، وليس لهم قدرة علي التصرف في الخلق و الرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم، ومن فعل ذلك فليس بوالي الله بل كذاب آفك

ولي للشيطان.

ثانياً: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة:

لا تلازم بين الولاية وظهور الأمور الخارقة للعادة، فكثير من أولياء الله الصادقين من الصحابة والتابعين لم يحدث لهم خوارق وهم من هم في الفضل والسبق.

يقول الليث: "لو رأيت الرجل يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة". قال الشافعي رحمه الله: "قصر والله الليث بل لو رأيته يطير في الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة".

لذلك فالخوارق التي تحدث للعباد وتجرى على أيديهم؛ منها كرامات رحمانية ومنها خوارق شيطانية، وضابط الكرامة لزوم الاستقامة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وإذا عرفت أنه لا بد للولي من أن يكون مقتدياً في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء منها يخالف هذا المعيار فهو رد عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبises إبليسية، ولهذا نراه يظهر من أهل البدع بل من أهل الكفر ومن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه لأن الشيطان أميل إليهم؛ للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرع الله سبحانه لعباده (ولاية الله والطريق إليها ص ٢٣٧).

فالكرامة الحق التي بها نجا العبد إنما هي استقامته على أمر الله عز وجل حتى يأتيه الموت قال الجوزجاني: "كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة؛ فإن نفسك

متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة". (مجموع الفتاوى ٣٢٠/١١).

ثالثاً: أعظم الكرامات:

ولا شك أن من أعظم الكرامات، ما أكرم الله به سلف هذه الأمة وعلماءها الأفاضل المجددين والمصلحين فيها؛ حيث بارك في أوقاتهم، وأعمارهم، وعلمهم، وأعمالهم؛ فكتب بعضهم ما يعجز غيره على نسخه في مدة عمره كله. (انظر طبقات الشافعية ٣٣٣/٢-٣٣٤).

وكان لعلومهم ومؤلفاتهم من الأثر العظيم ما نراه إلى يومنا هذا، وكتب الله لها البقاء والنماء والانتشار، وكم كان للمصلحين على مدار العصور من الأثر المبارك في أقوامهم، وكم يترتب على مواقفهم الحميدة من آثار جليلة وثمار عديدة تجنيها الأمة وتنعم بها طيلة سنين أوقرون!

وتأمل قوله تعالى في فضل من آتاهم العلم: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» البقرة وتأمل قول الله عز وجل أيضاً في أعظم شهادة في القرآن: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالَّتِيكَتُ وَأُولُو الْقَائِمَاتِ بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (سورة آل عمران: الآية ١٨).

فيا لها من كرامات وعطايا وهبات من خالق الأرض والسموات لعباده وأوليائه

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم

على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقد ركل امرئ ما كان يحسنه

والجاهلون لأهل العلم أعداء

فقر بعلم تعش حياً به أبداً

الناس موتى وأهل العلم أحياء

رحم الله سلف هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وجمعنا بهم بصحبة نبينا الأمين، صلى الله عليه وسلم في جنات النعيم، والحمد لله رب العالمين.

المسلمون

في ألمانيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد؛

فما زلنا نتجول في القارة العجوز أوروبا، نتعرف على أحوال المسلمين هناك، في ظل الهجمة الشرسة التي يخوضها أعداء الإسلام على بلاد المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض، وما يُحاك ضدهم في البلدان التي يقطنونها في ظل التُّهم التي توجه ظُلماً ضد المنتسبين إلى هذا الدين العظيم؛ دين الإسلام، والله سبحانه ناصِر دينه وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي بقعة أخرى من بقاع أوروبا نتجول في عجالة لننتعرف على أحوال المسلمين فيها، وإلى التفصيل:

إحصاءات عن المسلمين في ألمانيا

يعيش في ألمانيا ما يزيد عن ٤ ملايين مسلم يمثلون نسبة ٥% من سكان ألمانيا، وأهل السنة بين مسلمي ألمانيا يمثلون ٧٤% من المسلمين هناك، والشيعة ١٣%، وقرابة ٤٥% من المسلمين في ألمانيا ينحدرون من أصول مهاجرة يحملون الجنسية الألمانية، وما يقرب من ٢,٥ مليون منهم ينحدرون من تركيا، بينما يبلغ تعداد المنحدرين من دول جنوب شرق أوروبا كالبوسنة والهرسك وبلغاريا وألبانيا ٥٥٠ ألف شخص من المسلمين هناك.

ويُعد المسلمون المهاجرون إلى ألمانيا من البلاد العربية ثالث أكبر جالية في ألمانيا، ويبلغ تعدادهم حوالي ٤٠٠ ألف مهاجر من بلدان منطقة الشرق الأوسط؛ كلبنان والعراق وسوريا ومصر.

ويكثر عدد المهاجرين من بلدان شمال إفريقيا، ومن المغرب على وجه الخصوص، ويبلغ عددهم ٢٨٠ ألف مسلم يعيشون في ألمانيا.

أما الجزء الآخر فيشكله المسلمون المهاجرون من

جمال سعد حاتم

الاعداد

رئيس التحرير

دول آسيا الوسطى «الدول المستقلة»، وإيران وجنوب شرق آسيا، وباقي الدول الإفريقية.

بداية ظهور الإسلام في ألمانيا

بدأ ظهور الإسلام وانتشار المسلمين في ألمانيا بأعداد كبيرة على وجه الخصوص في ستينيات القرن العشرين عندما استعانت ألمانيا بالعمالة التركية للمساهمة في إعادة بناء ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية.

كما وفد الكثير من المسلمين إلى ألمانيا في السبعينيات على شكل موجات من اللجوء السياسي، ومع ذلك فإن بداية احتكاك ألمانيا بالإسلام والمسلمين يعود إلى قرون سابقة.

وقد كان أول اتصال للألمان بالعالم الإسلامي أيام الحروب الصليبية، فلقد شارك الألمان في تلك الحروب، وكان هناك اتصالات دبلوماسية بين ملوك

تلك البلدان.

المساجد والهيئات الإسلامية في ألمانيا

يوجد في ألمانيا قرية ٤٠٠ هبنة ومؤسسة إسلامية، والعشرات من المراكز الإسلامية التي تهدف إلى توثيق الأخوة الإسلامية، وتزويد المسلمين بالكتب الإسلامية، وفتح المدارس التي يتعلم فيها أبناء المسلمين هناك، وترجمة الكتب الإسلامية إلى ألمانيا، وإصدار الدوريات الإسلامية، والحفاظ على الهوية الإسلامية. ويوجد في ألمانيا أكثر من ٣٠٠ مسجد منتشرة في المدن الألمانية الكبرى، وتشير التقديرات الرسمية الصادرة عن الحكومة الألمانية إلى وجود ٢٥٠٠ مصلًى في ألمانيا الكثير منها عبارة عن مجرد غرفة لأداء الصلوات.

ويتلقى المسلمون تعليمهم الإسلامي في بعض المدارس الملحق بالمساجد أو المراكز الإسلامية أيام العطلات، وهي غير كافية، وينقصها توحيد البرامج الدراسية، كما توجد أماكن للصلاة في بعض الجامعات الألمانية.

تحديات تواجه المسلمين في ألمانيا

ألمانيا هي إحدى دول أوروبا الوسطى، تطل على بحر البلطيق، ولها جبهة بحرية على الشمال، تحدها بولندا من الشرق، وتشيكوسلوفاكيا من الجنوب الشرقي، والنمسا وسويسرا من الجنوب الغربي، وتشترك في حدودها الغربية مع كل من هولندا وبلجيكا وفرنسا، وتشترك في حدودها الشمالية مع الدنمرك.

ويواجه المسلمون في ألمانيا العديد من التحديات، من أبرزها: الربط المتواصل بين الدين الإسلامي والتطرف، وهو أمر سيئ ويعطي صورة سلبية عن الدين الإسلامي، وغالباً ما نرى عدم التمييز بين الإسلام وبين التطرف مما يؤدي إلى انتشار كثير من صور العداء للإسلام، وهو ما يشاهد على أرض الواقع. ويرى المسلمون أنه على الرغم من ذلك كله إلا أن هناك إيجابيات ملحوظة في بعض الولايات الألمانية، حيث تشهد تطورات إيجابية تصب في مصلحة المسلمين.

نسأل الله تعالى أن ينصر دينه وكتابه وعباده الصالحين، وأن يحفظ المسلمين في كل مكان، إنه جود كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأندلس والألمان، ودرس «مارتن لوتر» القرآن برغم التراجم المحرّفة، وتأثر «غوته» بتعاليم الإسلام والمسلمين، وبدأ الاستشراق بما بذله «يعقوب كريستمان» من تعلم اللغة العربية، وألف فيها كتباً، وافتتح كرسي لها في جامعة هيدلبرج عام ١٩٩٩هـ.

وازداد تعداد المستشرقين، ولم تجتمع الجماهير الألمانية بجمهور المسلمين إلا إبان الحرب العالمية الأولى؛ حيث أطلق سراح بعض الأسرى المسلمين ففضل الكثير منهم العيش في ألمانيا، كما توافد على ألمانيا عدد من التجار والعمال المسلمين، وأخذ عدد من الألمان يعتنقون الإسلام.

وبعد الحرب العالمية الثانية، قدمت موجات من اللاجئين المسلمين من شرق أوروبا، وهرب جنود من المسلمين من الجيش السوفييتي إلى ألمانيا، كما هاجر العديد من الأتراك من الاتحاد السوفييتي إلى ألمانيا الغربية، كما هاجر إليها العمال الأتراك والمغاربة واليوغسلاف، إضافة إلى أعداد كبيرة من الطلاب المسلمين.

أحوال المسلمين في ألمانيا

انتشرت في ألمانيا كما انتشرت في أوروبا كلها المخاوف من انتشار التطرف في أوساط المسلمين هناك، خاصة بعد وقوع أحداث سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد تعرّض مدريد ولندن لضربات تنظيم القاعدة، خاصة بعد الأخذ بعين الاعتبار أن منفذي أحداث سبتمبر كانوا قادمين من ألمانيا، فيما يعرف بخلية «هامبورج».

وتشير الأرقام الصادرة عن الحكومة الألمانية في تقرير صدر عنها عام ٢٠٠٧م إلى أن عدد المسلمين في ألمانيا قد بلغ ٣,٤ مليون مسلم من أصل تعداد السكان الإجمالي، والبالغ آنذاك ٨٢ مليون نسمة، وبذلك يعتبر المسلمون في ألمانيا أكبر الأقليات الدينية بعد المسيحيين؛ حيث إن البروتستانت والكاثوليك هم الأكبر.

ويرتكز المسلمون في المدن الصناعية الكبرى الواقعة في ما كان يُعرف بألمانيا الغربية، وفي مدينة برلين، والتي يوجد بها وحدها نحو ٢٢٠ ألف مسلم، ومع ذلك فإنه يوجد في ألمانيا، وكذلك الأجزاء الألمانية من سويسرا والنمسا، أعداد كبيرة من المسلمين في تلك المدن، بخلاف الدول الأوروبية الأخرى التي يكثر تواجد المسلمين فيها في المناطق الريفية من

الشحادة بين الاحتراف والاحتياج

صلاح عبد الخالق

اعداد

مع توفير شروطه، فإن الدعاء المصحوب بالسعي للحصول على العمل وعلى الرزق يحقق للإنسان طلبه في الحصول عليه فيستغني عن الآخرين ولا يضطر إلى التسؤل.

أ- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَمْتُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظُهَا اللَّهُ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظُهَا اللَّهُ تَجِدَهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ..» سَنَّ الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني.

ب- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تَسِدْ فَاقَتَهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ. صحيح الجامع (٦٥٦٦) يُوشِكُ: أي يسرع.

ج- عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ مَكَاتِبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مَكَاتِبَتِي فَأَعْنِي، قَالَ: أَلَا أَعَلَمْتُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صَبْرٌ دَيْنًا آذَاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَنْ مَنِّ سَوَاكَ. حَسَنُهُ الألباني في سنن الترمذي (٣٥٦٣).

- قوله: "وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَنْ مَنِّ سَوَاكَ" أي: واجعل فضلك وهو ما تمنى به علي من نعمة وخير ورزق مغنياً لي عن سواك، فلا أفقر إلى غيرك، ولا ألتجئ إلى أحد سواك. فقه الأدعية والأذكار (٢٠٠/٣).

٢- الاستغناء عن الناس: عن سهل بن سعد الثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فقال: يا محمد عَشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبَبُ مِنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ،

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أحكام الشحادة، وفي هذا العدد نتناول ما تبقى من أسبابها، ووسائل علاجها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خامساً: التربية الخاطئة في مرحلة الطفولة:

وتعليم الأطفال على طلب الحاجة إلى الغير، وبطلب العون من كل أحد قد يحصل الأُنس بالتسؤل: فقد يتسؤل البعض للحصول على المال، ولكن بمرور الزمن يحدث لديهم أُنس بالتسؤل نفسه، فيصبح المتسؤل ثرياً، أو قد يجد من يكفيه من المال من ابن أو من قريب أو ما شابه ذلك، ولكنه لا يترك التسؤل لاعتياده عليه، ولحدوث حالة الأُنس بينه وبين التسؤل.

سادساً: توارث الظاهرة من الآباء وانتقالها إلى الأبناء:

فأغلب المتسولين يصحبون أطفالهم أثناء التسؤل، لتصبح مهنتهم هي التسؤل بعد التعود عليها وعدم وجود الرادع لهم.

سابعاً: سوء توزيع الثروات داخل المجتمع:

وقلة التراحم والاقتصار على بذل اليسير من المال غير الكافي لسد حاجة المحتاجين، أو الذي لا يصل إلى مستحقه بشكل عادل؛ فالمتسؤل قد لا يجد من يعطف عليه لإشباع حاجاته الأساسية من مأكلاً وملبس ومسكن فيوزع طلباته على كل الناس، ليجمع منهم اليسير، وليعطيه كل شخص جزءاً يسيراً من المال، حتى يحصل بتجميعها مبلغاً لا بأس به.

من وسائل علاج مشكلة الشحادة (التسؤل):

١- اللجوء إلى الله تعالى: التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والإلحاح به

واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس). صحيح الجامع (٧٣).

٣- العمل والبعد عن الكسل: عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لأن يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فيخطب على ظهره، فيتصدق به ويستغني به من الناس، خير له من أن يسأل رجلاً، أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعمل» صحيح مسلم (١٠٤٢).

٤- القناعة: عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «قد أفلح من أسلم، ووزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه» صحيح مسلم (١٠٥٤).

قد أفلح الإنسان الذي دخل في هذا الدين، فأسلم نفسه، وأسلم وجهه، وأسلم قلبه لله رب العالمين، يحكم فيه بما يشاء، ويفعل فيه ما يريد، ولا يعترض على الله، فإذا رزقه الكفاف-أي: على قدر الحاجة، لا زيادة ولا نقصان- ورزقه الله سبحانه وتعالى القناعة مع الرزق الذي ساقه إليه، فإنه يقنع. شرح رياض الصالحين - حطيبة (٣٦/٢).

٥- الأخذ بنظام الأسر المنتجة: فبدلاً من إعطاء المتسول مبلغاً من المال فيمكن توفير فرصة عمل له أو تعليمه حرفة أو فتح محل له ليصبح عضواً منتجاً، ويمكن أن يقوم بعض رجال الأعمال ببعض هذه المشاريع الخيرية في إطار الدور الاجتماعي الذي يقع على عاتق أصحاب رؤوس الأموال.

عن أنس بن مالك، أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله، فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، جلس نلبس بَعْضُهُ وَنَبَسْتُ بَعْضُهُ، وَقَعَبْتُ نَشْرَبُ فِيهِ مِنْ الْمَاءِ، قَالَ: «أنتني بهما»، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟» قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَ، قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ

عَلَيَّ دَرَاهِمَ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «أَشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَأَنْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَأَشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأَتْنِي بِهِ»، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «أَذْهَبْ فَأَخْطَبْ وَبِيعْ، وَلَا أَرِيْنِكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا» فَذْهَبَ الرَّجُلُ يَخْطُبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ (١٦٤١) وَالتِّرْمِذِيُّ (١٢١٨) وَقَالَ حَسَنٌ.

٦- إنشاء قاعدة بيانات للأسر الفقيرة: البيانات تتضمن كافة المعلومات الاقتصادية والاجتماعية عن كل فرد من أفراد الأسرة، حتى يمكن توجيه المساعدات والمعونات النقدية والعينية بصورة شهرية أو متكررة أو طارئة أو استثنائية.

٧- تفعيل دور المواطن: في الوقاية من ظاهرة التسول، وذلك بعدم التبرع لأي شخص يطلب أو يستجدي المال في الشارع أو على أبواب المساجد أو المستشفيات أو غيرها من الأماكن العامة، بل يتم توجيه هذه الأموال وإيداعها في صناديق خاصة توزع حصيلتها على الأسر المعوزة من واقع البيانات الرسمية.

٨- تحقيق التكافل الاجتماعي: تكفل الإسلام أصحاب الحاجات ومن على شاكلتهم ولم يتركهم هملاً وعرضة لآفة الفقر والحرمان من قبل المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه ويحسبون عليه، بوسائل كثيرة، من زكاة مفروضة وصدقات وكفارات.

اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

الخلل في الفهم . . وليس في كتب التراث

المستشار/ أحمد السيد علي

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

كانوا من قراء الناس حفظة كتاب الله، ففي الحديث «خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ مِنْ قُرَاءِ النَّاسِ فَتَزَلُّوا أَرْضًا مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ يُقَالُ لَهَا حُرُورَاءُ»، ولكنهم ليسوا بفقهاء، أصحاب فقه سقيم وفهم معوج، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا النوع من البشر حامل الفقه وليس بفقهاء، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ حَدِيثًا فَحَفَظَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ قُرْبَ حَامِلِ فَقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرَبَّ حَامِلِ فَقْهِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِهِ» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

ثانياً: إنكارهم ما أحل الله؛

حيث قالوا: «مرحباً بك يا ابن عباس فما هذه الرحلة؟».

فرد عليهم: «قَالَ قُلْتُ: مَا تَعْبِيُونَ عَلَيَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُلِّ وَنَزَلَتْ: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ"».

ثالثاً: استدلالهم بالآيات في غير موضعها؛

فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله يقول: «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ» وفي الرواية الأخرى: «قَامَ ابْنُ الْكَوَاءِ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ: إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ هَذَا مَنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ: «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ»».

وهذه الآية نزلت في كفار قريش، ومخاصمتهم للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: «وَلَا تُشْرِكْ أَنْ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْلُكَ مِنْهُ يَخْتِمْ» وقالوا: «أَلَيْسَ خَيْرَ أَمْرٍ هُوَ مَا صَرَفَهُ لَكَ إِلَّا جَدًّا لَمْ يَرْقُومْ خَصْمُونَ» (الزخرف: ٥٧ - ٥٨) فوضعها الخوارج في غير

الحمد لله حمداً لا ينقذ، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه .
أما بعد:

فقد تعالت بعض الأصوات التي تنادي بضرورة تنحية كتب التراث من تفسير، وفقه، وعقيدة، وغيرها جانباً، والرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقط، دون الحاجة إلى فهم سلف الأمة لهما، وإنما بفهم من يرجع إليهما الآن، بزعم أن كتب التراث- والتي تحوي أقوال سلف الأمة من الأئمة الأربعة، وغيرهم كإبن تيمية، وإبن القيم، هي من أفرزت الجماعات المتطرفة كداعش، والقاعدة، وغيرهما.

ولرد على هؤلاء نقول: إن قولهم هذا غير صحيح يكذبه التاريخ والواقع، وبيان ذلك كالتالي: أما التاريخ، فإن بداية نشأة فكر الخوارج- والتي تنتسب إليه سائر الجماعات المتطرفة الآن- كان في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث لم يكن هناك سوى القرآن والسنة، ولم تكن هناك كتب للتراث، ولم يكن أحد من علماء السلف- كالأئمة الأربعة أو إبن تيمية، أو إبن القيم، قد ولد بعد حتى يستقي منه الخوارج منهجهم الضال كما تزعمون، وإنما نشأ فكرهم الضال المنحرف من الخلل في فهم مراد الله من آيات القرآن، ومراد رسوله من سنته.

وقد كان أول من ناقشهم ودفع شبههم وفهمهم السقيم للقرآن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس واليك حوارهم معه وكيف رد عليهم شبههم لتعرف الفرق بين فهم الصحابة للقرآن والسنة وبين الفهم السقيم لهؤلاء:

أولاً: حملة فقه ليسوا بفقهاء؛

فالخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه

موضعها، وعمموا حكمها على كل قريش، بالرغم من نزولها في كفار قريش.

رابعاً: فهمهم العوج للآيات والأحاديث:

فقد قال لهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أخبروني ماذا نقيمت على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثاً قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ" وما للرجال وما للحكم، فقلت: هذه واحدة قالوا: وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كان الذي قاتل كفاراً لقد حل سبيهم وغنيمتهم ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟ قال: إنه محاً نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين قلت أتعلمكم سوى هذا؟».

فرد عليهم ابن عباس قائلاً: «أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم فقلت: أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فإنا أتلو عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أربب ونحوها من الصيد فقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم» إلى قوله: "يُحْكَمُ بِهِ ذَوْا عَدَلٍ مِنْكُمْ" فنشدكم الله أحكم الرجال في أربب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة زوجها قال الله عز وجل: «وَأَنْ خُفِّنَ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا» فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة. أخرجت عن هذه قالوا: نعم.

قال: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها فلئن فعلتم لقد كفرتم، وهي أمكم ولئن قلدتم ليست أمنا لقد كفرتم فإن كفرتم فإن الله يقول: "النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ" فأنتم تدورون بين ضاللتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولكم: محاً اسمه من أمير المؤمنين فإنا أتاكم بمن ترضون وأرايكم قد سمعتم أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو

وأبنا سفيان بن حرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُمير المؤمنين: اكتب يا علي هذا ما اصطَلَحَ عليه مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ، فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أنك تعلم أنني رسول الله اكتب يا علي هذا ما اصطَلَحَ عليه مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فوالله لرسول الله خير من علي وما أخرجه من النبوة حين محاً نفسه..

خامساً: الفهم السليم سبب للهداية والرشاد:

وأمام تهوي حجتهم الواحدة تلو الأخرى فقد رجع من القوم إلى الحق ألفان، وقيل أربعة آلاف.

سادساً: الأسباب المانعة من قبول الحق:

وقتل سائرهم على ضلالة، لعدم قبولهم الحق الذي جاء به ابن عباس رضي الله عنهما، وقد قال ابن القيم- رحمه الله- في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" ص ١٥: "الأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس، فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهوته وأغراضه قوي المانع من القبول جداً.

فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازداد المانع من قبول الحق قوة، فإن هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختر الكفر على الإسلام بعد ما تبين له الهدى، كما سيأتي ذكر قصته إن شاء الله تعالى.

ومن أعظم هذه الأسباب: الحسد، فإنه جاء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يوت نظيره فلا يدعه الحسد أن يتقاد له ويكون من أتباعه.

وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟ فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع غص بريقه واختار الكفر

على الايمان بعد ان كان بين الملائكة.

وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الايمان بعيسى ابن مريم وقد علموا علماً لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الايمان وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحرار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء.

هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة، ولم يأت بشريعة يخالفهم ولم يقاتلهم، وإنما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمة وإحساناً، وجاء مكملًا لشريعة التوراة، ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الايمان، فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع، مبكتاً لهم بقبايحهم، ومنادياً على فضائحتهم، ومخرجاً لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ويعلو هو وأصحابه وهو معه دائماً في سفال، فكيف لا يملك الحسد والبغي في قلوبهم؟ وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى؟ وهذا السبب وحده كاف في رد الحق، فكيف إذا انضاف إليه زوال الرياسات والمآكل كما تقدم؟

وقد قال المسور بن مخرمة - وهو ابن أخت أبي جهل - لأبي جهل: يا خالي هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي، والله لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم فينا وهو شاب يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذبا قط. قال: يا خال! فما لكم لا تتبعونه؟ قال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقيننا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تخاصمنا على الركب وكنا كفرنسي رهان قالوا: منا نبي، فمتى ندرك مثل هذه؟

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ها هنا من قریش أحد غيبي وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي بالواء، والحجابة، والسقاية، والنبوة، فمأذا يكون لسائر قریش؟

وقال أيضاً رحمه الله: "فلم يزل في الناس من يختار

الباطل، فمنهم من يختاره جهلاً وتقليداً لمن يحسن الظن به، ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً، ومنهم من يختاره طمعاً ورغبة في مآكل أو جاه أو رياء، ومنهم من يختاره حسداً وبغياً، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره راحة ودعة" اهـ.

سابعاً: انحراف الفهم سبب لانحراف القول والفعل:

وقد قادهم فهمهم المنحرف إلى أن: «قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء، وقتلوا ابن خباب، واستحلوا أهل الذمة».

وأما الواقع:

فيكذبهم من ناحيتين:

الأولى: أن كتب التراث تحارب الفكر المنحرف والجماعات الضالة: كالخوارج، وليس أدل على ذلك من أن ابن تيمية - رحمه الله - وهو أكثر من أنهم بأنه مرجع الجماعات المتطرفة، قد حارب فكرهم، وبين ضلالهم، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى»: «فإن الأمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين في مذهب مالك وأحمد وفي مذهب الشافعي أيضاً نزاع في كفرهم. ولهذا كان فيهم وجهان في مذهب أحمد وغيره على الطريقة الأولى: أحدهما: أنهم بغاة. والثاني: أنهم كفار كالمتردين، يجوز قتلهم ابتداءً، وقتل أسيرهم، وأتباع مذبذبهم، ومن قدر عليه منهم استتيب كالمترد فإن تاب وإلا قتل» اهـ.

الثانية: أن كل أهل العلم وطلبته يرجعون إلى كتب التراث لينهلوا منها: فلو كانت تلك الكتب هي السبب في الانحراف والضلال لانحرف كل من يقرأها، وضل سواء السبيل، والواقع غير ذلك إذ أن من يرد على خوارج العصر كداعش بدعتهم هم من درس كتب التراث ويستدلون بما جاء بها، ويبينون للخوارج الخلل في فهمهم لكلام سلف الأمة.

الخلاصة:

وعليه فإن أردنا أن نحارب الجماعات المتطرفة فعلياً بتصحيح الخلل الموجود عندهم في فهم مراد الله، ومراد رسوله، ومراد سلف الأمة، والمقصود من النص، ولا ننحي كتب التراث جانباً وقدعو الناس إلى عدم التعويل عليها، فهذا هدم للدين لا يقول به إلا مغرض محاد لله ورسوله. والله أعلم.

مقدمة في علم القراءات

د. أسامة صابر

اعداد

وطريق أداؤها اتفاقاً واختلافاً مع عزوكل وجه لناقله.

موضوع علم القراءات:

كلمات الكتاب العزيز من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

فائدته وثمرته:

١. العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به وما لا يقرأ به.

٢. استنباط المعاني من كل حرف يقرأ به، ففيه معنى لا يوجد في قراءة الآخر، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط.

٣. التسهيل على الأمة، وإظهار شرفها من حيث إنهم يضرعون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه.

فضله:

هو من أشرف العلوم الشرعية؛ لتعلقه بأشرف الكتب المنزلة.

استمداه:

من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حكم تعلمه وتعليمه: الوجوب الكفائي.

القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان:

فالقرآن هو الوحي المنزل للإعجاز والبيان، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها.

إثبات نزول القراءات:

في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أقراني جبريل على حرف فراجعتُه، فلم أزل أستزيده ويستزيدني حتى انتهت إلى سبعة أحرف». وفي هذا الحديث ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم تلقى هذه الأحرف السبعة من جبريل وقرأ بها.

في صحيح مسلم (حديث رقم ٨٢١) من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: إن القرآن العظيم ينبوع العلوم ومنشؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وكل علم يشرف بشرف متعلقه، ومن صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات.

القراءات لغة:

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ، ومادة (ق.ر.أ) تدور في لسان العرب حول معنى الجمع والضم.

القراءات اصطلاحاً:

ينبغي أن ندرك أن هناك فرقاً بين القراءات وعلم القراءات كما أن هناك فرقاً بين القرآن الكريم وعلوم القرآن

فالقراءة: مذهب منسوب لإمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه.

فقولنا مثلاً (النبيء) بالهمز قراءة نافع يعني أنه انفرد بذلك عن باقي القراء مع اتفاق الرواة وطرقهم عن نافع على هذا الحرف.

وهنا نتطرق إلى ذكر الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه:

فالقراءة: ما نسب لإمام من أئمة القراءات إذا اتفقت الروايات والطرق عنه.

والرواية: ما نسب إلى الأخذ عن هذا الإمام ولو بواسطة.

مثال ذلك قوله تعالى: (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) فضم الزاي في (جزءاً) رواية شعبة عن عاصم خالف فيها حفصاً، وهو الراوي الثاني عن الإمام عاصم.

والطريق: ما نسب إلى الأخذ عن الراوي ولو نزل.

مثاله: طريق الأزرق عن ورش عن نافع، وطريق عبيد بن الصباح عن حفص عن عاصم.

والوجه: ما يرجع إلى تخيير القارئ.

مثال ذلك: إذا وقفت على العارض للسكون في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين)، فأنت مخير بين القصص والتوسط والمد، فهذه ثلاثة أوجه.

علم القراءات:

هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية،

المراد بالأحرف السبعة:

أجمع العلماء على أنه ليس المقصود بالأحرف السبعة قراءة الكلمة الواحدة على سبعة أوجه؛ إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة، وكذلك أجمعوا أن الأحرف السبعة لا يراد بها القراءات السبع؛ لأن قراءات الأئمة السبعة بل العشرة التي يقرأ بها الناس هي جزء من الأحرف السبعة؛ إذ إن كثيراً من الأحرف السبعة قد نسخ بالعرضة الأخيرة التي عارض فيه جبريل النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قبل وفاته. واختلفت أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة وأصح الأقوال وأولها بالصواب أن المراد بالأحرف أوجه من اللغات تكلمت بها قبائل العرب.

أوجه اختلاف الأحرف السبعة:

اختلاف الأسماء في الأفراد والتثنية والجمع؛ كقوله: (كطي السجل للكتاب) و (للكتب).
اختلاف في التذكير والتأنيث؛ كقوله: (ولا يقبل منها شفاعة) قرئ بياء التذكير وتاء التأنيث.
اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر؛ كقوله تعالى: (قال ربي يعلم القول) قرئ (قال) و (قل).
اختلاف وجوه الأعراب؛ كقوله (يسبح له فيها بالغدو والأصال) قرئ (يسبح) بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول.
الاختلاف بالنقص والزيادة؛ كقوله تعالى: (وما عملته أيديهم) بالهاء وبغيره.
الاختلاف بالتقديم والتأخير؛ كقوله تعالى في سورة آل عمران: (وقاتلوا وقتلوا).
الاختلاف بالإبدال؛ كقوله تعالى في سورة يونس: (هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت) قرئ (تبلوا) بالباء وقرئ بإبدالها تاء (تتلوا).
الاختلاف في اللهجات؛ كالفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والتفخيم والترقيق والتحريك والتسكين، وغير ذلك. التشديد والتخفيف؛ كقوله: (بما كانوا يكذبون) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها.
الخطاب والإخبار؛ كقوله تعالى في سورة آل عمران: ١٢ (ستغلبون وتحشرون) قرئ بقاء الخطاب وقرئ بياء الغيبة (سيغلبون ويحشرون).
الصرف وتركه؛ كقوله: (وعادا وحمودا) في سورة الفرقان الآية ٣٨، والعنكبوت الآية ٣٨، قرئ بتنوين حمود وبتركه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

بني غفار، قال: فاتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمك القرآن على حرف، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم أتاه الثانية، فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمك القرآن على حرفين»، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الثالثة، فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمك القرآن على ثلاثة أحرف»، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الرابعة، فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمك القرآن على سبعة أحرف، فأبىما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا».

وفي مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم، واستزادته ما يدل على حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته وشفقته عليهم فبلغتهم شتى ولهجاتهم متعددة، وفي إنزال القرآن على سبعة أحرف توسعة من الله عز وجل على عباده وتيسير كتابه للذكر.

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكذت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلبثته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فأنطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرؤوا ما تيسر منه» (صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٩٢، وصحيح مسلم حديث رقم ٨١٨).

ومن هذا الحديث يتبين لنا أن القراءات كلها كلام الله عز وجل أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقرأ بها أصحابه هذا بوجه وهذا بوجه آخر، وصوب من قرأ ببعضها دون بعض.

الآن

المجلد الجديد لـ مجلة التوحيد



موسوعة علمية
لا تخرج منها مكتبة
ويحتج إليها
كل بيت

١٤٣٧ هـ

سارع باقتناء
نسختك من
المجلد الجديد

23936517

ر

مجلة التوحيد لا غنى عنها لكل مسلم

التوحيد

مفاجأة كبرى



مجلدات
مجلدات
مجلدات



مجلدات
مجلدات
مجلدات

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً



٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

الآن بمعرض الكتاب

- اشترائك سنة مجاناً بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة .
- الكمية محدودة والعرض سار حتى نفاذ الكمية .
- يمكن بعد الشراء إرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن .

نحن
بانتظاركم